الآليات الحجاجية في المقدمات التراثية
مقدمة حازم القرطاجني لمقصورته نموذجًا

د. آلاء عبد الغفار حامد هلال(*)

مستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الآليات الحجاجية التي استعان بها القرطاجني في تشكيل بنية مقدمة مقصورته؛ بغرض إقناع المرسل إليهم بقيمة المتن وأهميته. وقد استندت معالجة البحث على مرتكزات الحجاج؛ الروابط والعوامل الحجاجية، والبلاغة الجديدة (نظرية البرهان **Argumentation**)، وأسفرت عن مجموعة من النتائج أبرزها ما يلي:

- أثبت البحث وعي القرطاجني بدور المقدمة، بوصفها مدخلا نصيًّا فاعلًا في دفع المخاطبين نحو الولوج في عالم المتن، واستيعاب مضامينه ومقاصده.
- فرض القرطاجني سلطته النقدية على المخاطبين، فتوجه إليهم بوصفه ناقدًا بصيرًا بالشعر؛ ليحكم على عمله بالجودة والإتقان، فيستميل نفوسهم، ويحفزهم على قراءة المتن، والتفاعل معه.
- استعان المرسل بروابط (الواو) و(الفاء) و(حتى) و(على أنَّ)، في سبيل تدعيم حججه وتقويتها. كما استدعى مجموعة من العوامل الحجاجية، تتحدد في عوامل: النفي، والقصر، والشرط؛ بغرض توجيه الخطاب الوجهة الحجاجية التي يرومها.
- أفاد توظيف البديع في مقدمة القرطاجني في انسجام أجزائها، وتلاحم أصواتها، واعتدال مقاطعها؛ تحقيقًا لإقبال المخاطبين، واستمالة لنفوسهم نحو قراءة المتن والتفاعل معه.
- تحققت فاعلية التشبيه الحجاجية فيما يمتلكه من طاقات إقناعية تأثيرية؛ تدفع المخاطبين نحو الوصول إلى المعنى المقصود.

(*) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد بكلية البنات – جامعة عين شمس.
Alaa.Abdelghafar@women.asu.edu.eg

– استدعى القرطاجني آلية الاستعارة في مقدمة مقصورته؛ بغية تحقيق غرضين رئيسين: يتمثل الغرض الأول في إثبات مضامين المتن وأفكاره المتصلة بمدح المستنصر، ويتحدد الغرض الثاني في إثبات قيمة المقصورة الجمالية والدلالية.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الآليات الحجاجية، المقدمة، حازم القرطاجني ومقصورته، مقدمة المقصورة.

Abstract:

This research aims to reveal the argumentative mechanisms that Al-Qarthajani used in forming the structure of the introduction to his poem, with the aim of convincing the recipients of the value and importance of the text. The research treatment was based on the foundations of argumentation; argumentative links and factors, and new rhetoric (Argumentation), and resulted in a set of results, the most prominent of which are the following:

The research demonstrated Al-Qarthajani's awareness of the role of the introduction, as an effective textual entry point in urging the audience to enter the world of the text and comprehend its contents and objectives.

The sender used the conjunctions waw, fa, hatta, and ala anna to support and strengthen his arguments. He also called upon a group of argumentative factors, defined as negation, restriction, and condition, in order to direct the discourse toward the argumentative direction he intended.

The use of rhetoric in Al-Qartajani's introduction contributed to the harmony of its parts, the cohesion of its sounds, and the moderation of its syllables, in order to attract the audience and attract their souls to read the text and interact with it.

The argumentative effectiveness of the simile is achieved through its persuasive and influential energies, which push the audience towards reaching the intended meaning.

Al-Qartajani invoked the metaphorical mechanism in the introduction to his poem to achieve two main purposes. The first was to demonstrate the contents of the text and its ideas related to praising Al-Mustansir. The second was to demonstrate the aesthetic and semantic value of the poem.

Keywords: **Argumentation, argumentative mechanisms, introduction, Hazem Al-Qartajani and his Maqsura, introduction to the Maqsura.**

مقدمة:

يمتلك خطاب المقدمات Discours préface سلطة حجاجية، تستهدف الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين؛ إذ تدفعهم نحو الولوج في عالم المتن؛ لاستجلاء مقاصده، واستقراء خلفياته، والتفاعل مع ما يطرحه من آراء وأفكار. وهو ما يسهم في توجيه القراءة وجهة خطابية محددة، تعين على فهم المتن واستيعاب خصوصياته. ويستعين المرسل في هذا الخطاب بمجموعة من الآليات اللغوية والبلاغية في سبيل تحقيق أهدافه الحجاجية، وغاياته التواصلية التأثيرية.

إشكالية البحث:

يُعنى هذا البحث الموسوم بـ"الآليات الحجاجية في المقدمات التراثية، مقدمة حازم القرطاجني لمقصورته نموذجا" بالكشف عن الآليات الحجاجية في مقدمة حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) لمقصورته الألفية[١] التي صاغها من بحر الرجز التام[٢]، في مدح الخليفة أبي عبد الله المستنصر الحفصي (ت ٦٧٥هـ)، معارضًا بها واحدة من أقدم المقصورات في الأدب العربي وأشهرها، ألا وهي مقصورة أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)، بيد أنها

---

[١] يُراد بالمقصورة: كل قصيدة يكون رويها ألفًا لينة، وتكون غالبًا من بحر الرجز، ومعظمها من المطولات. وقد وجدت في الشعر العربي على اختلاف عصوره قصائد مقصورة... ينظر الأصمعيات، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ت ٢١٦هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط ٥ بيروت/ لبنان، ص (١٤٣)، والأمالي، أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون ت ٣٥٦هـ)، ط ٢ دار الكتب المصرية، ج٢/ ص (٢٣٧). أشهرها من جهة الطول وتعدد الأغراض وغزارة المعاني: مقصورة أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)، ومقصورة حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، ومقصورة أبي زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي (ت ٨٠٧ هـ)، ينظر مقدمة شرح مقصورة القرطاجني، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، أبو القاسم محمد الشريف السَّبتي (ت ٧٦٠هـ)، ط المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٧م، تحقيق وشرح: الأستاذ محمد الحجوي، ص (٨٠ – ٨٣).

[٢] يتركب بحر الرجز التام من ست تفعيلات، ثلاث في الشطر الأول وثلاث في الشطر الثاني، وقد يأتي بثلاث تفعيلات فحسب، فيسمى مشطورًا. ينظر: الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، عالم المعرفة/ بيروت، ص (٧٧).

فاقتها طولًا وثراء وشمولًا. وقد تفرّد القرطاجني عمن سبقه من الشعراء بالتقديم لإحدى قصائده (المقصورة)؛ بغرض تأكيد مكانتها الأدبية، وإبراز قيمتها الجمالية والدلالية والمعرفية. فعمد إلى تشكيل بنية مقدمته وفق إستراتيجية خطابية تستهدف إقناع المرسل إليهم بأهمية عمله، وتدفعهم إلى التسليم والتصديق والإذعان لما طرحه من آراء وأفكار وتصورات، مستعينًا بمجموعة من الآليات اللغوية والبلاغية في سبيل تحقيق مقاصد خطابه الحجاجية، وغاياته التواصلية.

ولم يكن الحجاج في مقدمة القرطاجني حجاجًا جدليًّا، يستهدف دحض آراء الخصوم وإبطالها، وإنما كان حجاجًا إقناعيًّا تمتزج فيه أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع؛ بهدف استمالة نفوس المخاطبين، والتأثير فيهم، وحملهم على الانخراط في قراءة المتن، والتفاعل مع مضامينه وأفكاره.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتحدد أهمية هذا البحث وأسباب اختياره من نواح عدة، لعل أبرزها:

- ما يمثله الخطاب التقديمي على وجه العموم –والخطاب التقديمي التراثي على وجه الخصوص– من أهمية كبرى؛ إذ يعد مدخلا نصيًّا لفهم المتن، واستيعاب مضامينه وأفكاره، وهذا ما يؤكد وعي علمائنا العرب القدامى بأهمية المقدمة ووظائفها الخطابية.
- إلقاء الضوء على الوظيفة الإقناعية التأثيرية لخطاب القرطاجني التقديمي في توجيه المخاطبين نحو قراءة المقصورة، والتفاعل معها.
- الكشف عن الآليات الحجاجية التي استعان بها القرطاجني في تشكيل بنية مقدمته وفق إستراتيجية خطابية، تستهدف إقناع المتلقين بقيمة المتن وأهميته، وتدفعهم نحو قراءته، وتعينهم على فهم مقاصده وغاياته.
- الكشف عن الدور الذي أدّته الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية في تدعيم حجج المرسل وتثبيتها في نفوس المخاطبين.
- إظهار ملامح التعالق النصي بين بنية خطاب المقدمة وبنية خطاب المتن دلاليًّا وإيحائيًّا.

– خلو الدراسات الحجاجية من أي دراسة تتخذ مقدمة القرطاجني لمقصورته ميدانًا تطبيقيًّا لها[١].

التساؤلات البحثية:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

– هل أدَّت المقدمة وظيفتها الإقناعية التأثيرية في توجيه المخاطبين نحو قراءة المتن والتفاعل معه؟

– ما الآليات الحجاجية التي استعان بها المرسل لإقناع مخاطبيه والتأثير فيهم؟

– كيف وظف مرسل الخطاب الآليات اللغوية والبلاغية في تدعيم حججه وتثبيتها في نفوس المخاطبين؟

– هل أسهمت الروابط الحجاجية في تعزيز حجج المرسل وتقويتها؟

– هل أسهمت العوامل الحجاجية في توجيه الخطاب الوجهة الإقناعية التي يرومها المرسل؟

– هل كان استدعاء المرسل أدوات البديع في مقدمته اتباعًا لنهج المؤلفين في عصره أم كان داعمًا ومقويًا لمقاصد خطابه وأغراضه؟

– ما القيمة الحجاجية التي حققها توظيف المرسل لآليتي التشبيه والاستعارة؟

– هل أحالت المقدمة المخاطبين إلى مضامين المتن الشعري؟

– هل وصفت المقدمة موضوع المتن وبيَّنت مراحل تكوينه؟

– هل أبرزت المقدمة أهمية المتن وقيمته الجمالية والدلالية والمعرفية؟

– هل تعالقت بنية المقدمة مع بنية المتن دلاليًّا وإيحائيًّا في سبيل تحقيق مقاصد الخطاب وأهدافه؟

– إلى أي مدى وفِّق المرسل في إقناع المخاطبين بقيمة عمله وأهميته؟

---

[١] تأكدت من ذلك بالرجوع إلى مواقع بحثية متنوعة، منها:

– بنك المعرفة المصري.

– محرك البحث جوجل.

– دار المنظومة: موقع http://www.ekb.eg- http://www.mandumah.com

منهج البحث:

انتهج البحث المنهج الوصفي رصدًا وتحليلًا؛ وذلك بغرض الكشف عن الآليات الحجاجية التي استعان بها القرطاجني في تشكيل بنية مقدمة مقصورته، في سبيل إقناع مخاطبيه بأهمية عمله وقيمته، ودفعهم إلى التسليم والتصديق والإذعان لما طرحه من آراء وأفكار.

خطة البحث:

يمضي هذا البحث في مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

– المقدمة: عرّفت فيها موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطته.
– المدخل: تضمّن إيضاحًا للكلمات المفتاحيّة: الحجاج، المقدمة، حازم القرطاجني ومقصورته.
– المبحث الأول: البنية الحجاجية العامة لمقدمة المقصورة.
– المبحث الثاني: الآليات اللغوية.
– المبحث الثالث: الآليات البلاغية.
– الخاتمة: وفيها بيان بأبرز ما توصلت إليه الدراسة، وتوصياتها.
– قائمة المصادر والمراجع.

مدخل:

مفهوم الحجاج Argumentation:

– **في اللغة:** ورد في مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): "الحَاءُ والجِيمُ أُصُولٌ أَربعةٌ. فالأولُ: القصدُ، وكلُ قصدٍ حجٌ...، يقال: حاججْتُ فلانًا فحججْتُهُ أي غلبْتُهُ، وذلك الظفرُ يكونُ عند الخصومةِ، والجمعُ حُجَجٌ والمصدرُ الحِجَاجُ"[١]. وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "احْتَجَّ على خَصْمِهِ بحُجَّةٍ شَهْبَاء، وبحُجَجٍ شُهْبٍ، وحَاجّهُ خَصْمُهُ فحَجَّه، وفلانٌ خَصْمُهُ مَحْجُوجٌ، وكانت بينهما مُحَاجَةٌ وحِجَاجٌ"[٢]. ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب: "حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّه حِجَاجًا ومُحَاجَة حتى حَجَجْتُه أي غَلبْتُه بالحُجَج التي أَدْلَيْتُ بِهَا...، والحُجَّةُ: البُرْهَانُ، وقيل: الحُجَّةُ ما دُوفِعَ به الخَصْمُ...، وهو رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِل، والتَّحَاجُ: التَّخَاصُمُ...، وقال الأزهري: إنما سميت حُجَّة؛ لأنها تُحَجّ أي تُقْصَد؛ لأن القَصْدَ لها وإليها"[٣].

وبالنظر إلى هذه التحديدات اللغوية يتضح أن المفهوم اللغوي العام للحجاج يدل على الغلبة والمنازعة والخصام بين طرفين؛ إذ يحاول الطرف الأول (المتكلم) التأثير في الطرف الثاني (المخاطب)؛ مستعينًا بالحجج والبراهين المؤيدة لرأيه.

– **في الاصطلاح:** عرّف الفيلسوف البولندي البلجيكي شاييم بيرلمان (Ch. Perelman) واللسانية البلجيكية لوسي أولبرخيت تيتكاه (Lucie. Olbrechts Tyteca) الحجاج في كتابهما: مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة[٤] " The New

---

[١] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩م، مادة (حج).

[٢] أساس البلاغة، الزمخشري، (أبو القاسم جار الله، محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١ دار الكتب العلمية، مادة (حجج).

[٣] لسان العرب، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، ط دار المعارف (د.ت)، مادة (حجج).

[٤] ظهر مصطلح البلاغة الجديدة عام ١٩٥٨م في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البلجيكي شاييم بيرلمان ولوسي أولبرخيت تيتكاه تحت اسم (مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة)،=

rhetoric" [١]– بقولهما: "الحجاج جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، ذلك أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يهيئه للقيام بالعمل المطلوب، أو الإمساك عنه"[٢].

أما الحجاج اللغوي فقد وضع أسسه أزوالد ديكرو Oswald ducrot وجون – كلود أنسكومبر J.C. Anscombre في كتابهما (الحجاج في اللغة[٣])– بوصفه "نظرية لسانية تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، يكون بعضها بمثابة الحجج والأدلة، ويكون بعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستخلص من هذه الحجج[٤]"، وأكد صاحبا هذه النظرية الارتباط الحتمي بين الكلام والشحنة الحجاجية " فإن تتكلم يعني أنك تحاجج (كل قول = حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية[٥]".

=ويعتمد هذا الكتاب على محاولة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية بوصفها تقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي...، وامتداده إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر. وقد أعيد طبع هذا الكتاب عدة مرات أعوام: ١٩٧٠، ١٩٧٦، ١٩٨٨، ١٩٩٢. بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون بالكويت، أغسطس ١٩٨٢م، ص (٦٥).

[1] Perelman, Ch, & L. Olbrechts - T yteca ; The New rhetoric ;" A Treatise on Argumentation" Trans by John Wilkinson & Purcell weaver, Noter Dame & London ; University of Noter Dame press, 1971.

[٢] في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د/ عبد الله صولة، ط ١ الشركة التونسية للنشر ٢٠١١م، ص (١٣)، الحجاج في الشعر العربي القديم من القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، د/ سامية الدريدي، ط١ عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٨م، ص (٢١).

[3] Anscombre et ducrot; l'argumentation dans la langue; Pierre Mardaga. éditeur; 2ed

[٤] الترجمة والحجاج، مقال منشور ضمن كتاب (الحجاج بين النظرية والتطبيق)– د. أبو بكر العزاوي، ط ١ عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن) ٢٠٢٠م، ص ١٧.

[٥] أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، د. مثنى كاظم صادق، ط ١ دار كلمة للنشر – تونس ٢٠١٥م، ص (٢٢).

كما عرّف طه عبد الرحمن الحجاج أنه "كل منطوق موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها[١]". أما محمد العبد فرأى أنه "جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًّا، قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[٢]".

وبذلك يتحدد مفهوم الحجاج بوصفه آلية لغوية تستهدف الإقناع والتأثير في نفوس المتلقين، بتغيير نظام معتقداتهم ومواقفهم وسلوكهم إزاء موضوع ما أو قضية معينة، ويكون ذلك بالاستعانة بعدد من التقنيات الخطابية.

مفهوم المقدمة preface:

– **في اللغة:** يقول ابن فارس: "القَافُ والدَّالُ والمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ على سَبْق...، قال ابنُ دريد: "وقَادِمُ الإنْسَانِ: رَأْسُهُ، والجَمْعُ قَوَادِمُ...، وقَوَادِمُ الطَّيرِ: مَقَادِيمُ الرِّيشِ، عَشْرٌ في كُلِّ جَنَاحٍ...، ومُقدِّمَةُ الجَيْشِ: أَوَّلُهُ[٣]". ويقول ابنُ منظور: "قِيلَ: مُقَدِّمَةُ الكِتَابِ ومُقَدِّمَةُ الكَلامِ بِكَسْرِ الدَّالِ...، قَالَ: وقد تُفْتَح، ومُقدِّمَةُ الإبلِ والخَيْلِ ومُقدَّمَتُهما...، وقِيلَ: مُقدِّمةُ كُلِّ شَيء أَوَّلُهُ، ومُقَدَّمُ كُلِّ شَيء نَقِيضُ مُؤَخَّرِهِ، ويقالُ: ضَرَبَ مُقَدَّمَ وَجْهِهِ...، والمُقدِّمَةُ: النَّاصِيَةُ والجَبْهَةُ[٤]".

ويتبين –في ضوء هذه التحديدات اللغوية– أن مفهوم المقدمة يتعلق بمستهل الشيء وأوله، وما يقع في صدارته.

– **في الاصطلاح:** يُقصد بالمقدمة ذلك الخطاب الافتتاحي الذي يتصدر به الكتاب أو يتموقع في بداية الأثر الأدبي فيسمى فاتحة، أو قد يكون في وسطه فيسمى شاهدًا،

---

(١) اللسان والميزان، د. طه عبد الرحمن، ط ١ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٨٨م، ص (٢٦٦).

(٢) النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، د. محمد العبد، مقال منشور بمجلة فصول، العدد ٦٠– القاهرة ٢٠٠٢م.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (قدم).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قدم).

أو في آخره فيسمى تذييلًا أو ملحقًا. وقد تسمى المقدمة استهلالًا، أو افتتاحية، أو خطبة، أو تقديمًا...، أو مدخلًا...، أو تمهيدًا، أو توطئة، أو ديباجة، أو تصديرًا، أو عتبة[١]. وتتضمن المقدمة وصفًا لموضوع المتن، وشرحًا لظروف إنتاجه، ومراحل تكوينه، وتفسيرًا لدوافع تأليفه، وبيانًا لخطته ومنهجه، فضلًا عن إبراز أهمية موضوعه وقيمته الدلالية والمعرفية.

وقد وعى علماؤنا العرب القدامى أهمية المقدمة ووظائفها الخطابية، فبدأ التقديم في الثقافة العربية مع انتشار الكتابة، وازدهار حركة التأليف في العصر العباسي منذ القرن الثالث الهجري[٢]، وكانت تسمى المقدمة بخطبة الكتاب[٣]، ومن أبرز الكتب التي صدّرها أصحابها بمقدمات افتتاحية: " طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ)، و"الشعر والشعراء" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، و"عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، و"أخبار أبي تمام" لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٦هـ)، و"نقد الشعر" لقدامة بن

---

(١) شعرية النص الموازي، د/ جميل حمداوي، ط١ ٢٠١٤ م، المكتبة الشاملة الذهبية، ص (١٨٦). يتداخل مصطلح "المقدمة" مع مصطلحات أخرى، مثل: الاستهلال، والمطلع، والمدخل أو التمهيد، والتصدير، بيد أن هناك فوارق دقيقة بين هذه المصطلحات، فالاستهلال يشكل جزءًا من المتن الداخلي، أما المقدمة فتمثل نصًّا افتتاحيًّا مستقلًّا، والمطلع يرتبط بالنصوص الشعرية العربية التقليدية التي درج الشعراء فيها على استهلال قصائدهم بذكر الديار ووصف الرحلة والراحلة قبل التخلص إلى غرض القصيدة الرئيس. والمدخل أو التمهيد يتعلق بالبحوث العلمية أكثر من الآثار الإبداعية. والتصدير يعني –وفقًا لما ورد في معجم المصطلحات العربية– "كلمة يكتبها المؤلف في أول كتابه يعبر فيها عن ملاحظات شخصية موجهة إلى قارئ الكتاب، وتنتهي عادة بفقرة الشكر للأشخاص والفئات التي ساعدت المؤلف في بحثه...، ولا يتعدى التصدير الصفحتين أو الثلاث، في حين أن المقدمة قد تصل إلى طول فصلين من فصول الكتابة". ينظر شعرية النص الموازي (الخطاب المقدماتي) ص (١٨٦)، ومدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم) – عبد الرزاق بلال، تقديم: د/ إدريس نقوري، ط إفريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٠م، ص (٣٥– ٣٧).

(٢) شعرية النص الموازي، ص (١٩٢).

(٣) ينظر: مدخل إلى عتبات النص، ص (٣٨)، وخطاب المقدمة في التأليف العربي (دراسة تحليلية في مصنفات مختارة)، د/ مصطفى أحمد قنبر، ط المركز الديمقراطي العربي برلين/ ألمانيا ٢٠٢١م، ص (٢٠).

جعفر (ت ٣٣٧هـ)، و"الموازنة بين الطائيين" للآمدي (ت ٣٧٠هـ)، و"شرح ديوان الحماسة" لأبي علي المرزوقي (ت ٤٢١هـ). وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) من أوائل الشعراء الذين قدموا لدواوينهم، فوضع تقديمًا لديوانيه: سقط الزند، ولزوم ما لا يلزم.

وقد عُني المصنفون العرب باتباع جملة من القواعد الأساسية في تشكيل بنية خطابهم التقديمي، تتحدد على النحو الآتي[١]:

– الحرص على حسن الصياغة والديباجة باعتماد الأسلوب اللطيف الأخَّاذ؛ سيرًا على نسق الرسائل الفنية، حيث سيادة أسلوب السجع والمجانسة والمطابقة.

– التزام الإيجاز والاختصار والتكثيف وتجنب الإطالة[٢].

– الحرص على ضرورة انسجام ما تحتويه المقدمة من محاور مع موضوع الكتاب[٣].

وفي ضوء هذه الملامح التي ارتكز عليها العلماء العرب في تشكيل بنية مقدماتهم، يتضح وعيهم بأهمية هذه العتبة ووظائفها النصية، وما تمتلكه من سلطة خطابية إقناعية تأثيرية، تجذب انتباه المتلقين، وتستميلهم نحو الانخراط في قراءة المتن والتفاعل معه.

---

(١) مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، ص (٣٩ – ٤١).

(٢) نقل ابن خلكان استهجان العلماء لكتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب)؛ لأنه أطال في خطبته (مقدمته). وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د/ إحسان عباس، بيروت ط دار صادر/ بيروت، ج ٦/ ص (٤٠٠). كما انتقد ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ت ٦٣٧هـ) ابن الدّهان البغدادي (أبو محمد سعيد بن المبارك ت ٥٦٩هـ) في رسالته الموسومة بالمآخذ الكندية، فقال: "إنه أطال المقدمة، واختصر الكتاب الذي وضعت المقدمة من أجله، فكان كمن بنى دارًا فجعل دهليزها ذراعًا وعرضها شبرًا، وكمن صلّى الفريضة ركعة واحدة، وصلّى النافلة عشرًا". الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدّهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية، ابن الأثير، تحقيق: حفني محمد شرف، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨ م، ص (٢).

(٣) انتقد ابن الأثير مقدمة ابن الدّهان لرسالته (المآخذ الكندية)، فقال: "إن المقدمة لا تشاكل الكتاب؛ لأنه قصرها على أشياء خارجة عن الغرض المقصود". الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدّهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية، ابن الأثير، ص (٢).

ويمثل خطاب المقدمة –وفقًا لاصطلاح النقد الحديث– نصًّا مصاحبًا أو موازيًا Paratexte، أدرجه الناقد السيمائي الفرنسي جيرار جينيت G.Genette ضمن الإنتاجات والمصاحبات الخطابية التي تعود مسؤوليتها إلى الكاتب أو المؤلف (النص المحيط التأليفي peritexte auctorial) وتضم: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الإهداء، المقدمة، الخاتمة...، ذلك أن المؤلَّف "لا يمكن أن يقدم عاريًا من هذه النصوص التي تسيجه؛ لأن قيمته لا تتحدد بمتنه وداخله فحسب، بل أيضًا بسياجاته وخارجه[١]".

وقد حدد جيرار جينيت الوظيفة المركزية للمقدمة في ضمان تحقق قراءة جيدة للمتن[٢]، وذلك من خلال إمداد القارئ بخيوط دلالية تعينه على فهم المتن، واستيعاب خصوصياته. ومن هنا تؤدي المقدمة وظائف خطابية عدة، منها: الوظيفة الدلالية، والوظيفة التفسيرية، والوظيفة الإحالية، والوظيفة التأثيرية.

حازم القرطاجني ومقصورته:

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني (٦٠٨هـ – ٦٨٤هـ)، ولد في قرطاجنة الأندلس وإليها ينسب، تولى والده منصب القضاء في مرسية مدة تربو على الأربعين سنة، وكان عالمًا متبحرًا في علوم الدين واللغة، كما كان أخوال أبيه من العلماء، فهيأت نشأة حازم في هذه البيئة العلمية أن يسير على النهج نفسه، فحفظ القرآن منذ صغره، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وتتلمذ لعلماء عصره، أمثال: وجيه الدين منصور (ت ٦٧٢هـ)، والطرسوني (ت ٦٢٢هـ)، وأبي علي الشلوبين (ت ٦٤٥هـ)[٣].

---

[١] ينظر عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد، تقديم: د/ سعيد يقطين، ط١ منشورات الاختلاف– الدار العربية للعلوم ٢٠٠٨، ص (٤٨).

[2] Gérard Genette. Seuils.ed.du. Pairs, 1987 . p;183

[٣] ينظر ترجمته في المظان الآتية: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ابن سعيد الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط القاهرة ١٩٥٩م، ص (٢٠–٢١)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، ج١/ ص (٤٩٠ – ٤٩١)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري (شهاب الدين بن=

عاش القرطاجني في فترة شهدت فيها الأندلس قلاقل واضطرابات سياسية، مهدت لتصدع دولتها؛ إثر هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ، وانحسار قوة دولتهم، وقيام دويلات أخرى على أنقاضها (بنو مرين في المغرب، بنو حفص في تونس، بنو عبد الواد بتلمسان)، وهذا مما يسَّر مهمة نصارى إسبانيا في الاستيلاء على معظم المدن الأندلسية الكبرى (بلنسية، مرسية، إشبيلية، قرطبة)؛ مما اضطر أهل الأندلس إلى الرحيل عنها قسًرا، فهاجر القرطاجني مثل غيره من العلماء قاصدًا المغرب، ليتصل بالسلطان الموحدي في مراكش، ثم انتقل إلى تونس عاصمة الحفصيين؛ لتصبح مستقره حتى وفاته، وفيها اتصل بالخليفة أبي زكريا وولده المستنصر الذي مدحه في قصيدته المقصورة[١].

وصفه المقري بخاتمة شعراء الأندلس الفحول[٢]، وعُرف بنبوغه في الأدب واللغة والنحو والعروض والبلاغة؛ إذ يقول عنه الإمام أبو حيان: "وهو أوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان[٣]". وأثنى عليه ابن رشيد الفهري بقوله: "حبر البلغاء وبحر الأدباء...، ولا نعلم أحدًا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع، ولا أحكم

=محمد المقري ت ١٠٤١هـ)، ج٣/ ص (١٧٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ط١ ١٩٨٦م، ج ٧/ ص (٦٧٦)، الأعلام (خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ت ١٣٩٦هـ)، ط (٧)، دار العلم للملايين ١٩٧٩م، ج٢/ ص (١٥٩)، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، ص (٦٨٤).

[١] ينظر: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، ط بيروت ١٩٥٩م. والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أبو عبد الله الشيخ بن محمد بن أبي القاسم القيرواني المعروف بابن أبي دينار ت (بعد سنة ١١١٠هـ)، ط ١ مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٦هـ، ودولة الإسلام في الأندلس، (محمد عبد الله عنان ت ١٤٠٦هـ)، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين، والقسم الثالث: عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط ٢ مكتبة الخانجي ١٩٩٠م.

[٢] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري، ج٣/ ص (١٧٣).

[٣] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ج١/ ص (٤٩٠ – ٤٩١).

من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع، أما البلاغة فهو بحرها العذب، والمتفرد بحمل رايتها أميرًا في الشرق والغرب، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حماد روايتها، وحمال أوتارها، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط ..."[١]

ومن أهم آثاره الأدبية ومصنفاته العلمية[٢]:

- المقصورة، ألفها للمستنصر أبي عبد الله، وقد نشرت في مجلة حوليات كلية الآداب، مايو ١٩٥٣م – المجلد (٢)، تحقيق د/ مهدي علام، ثم نشرها المحقق في كتابه: (دراسات أدبية) ط مكتبة الشباب بالقاهرة. وأعاد محمد الحبيب بن الخوجة نشرها ضمن كتاب (قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني) ط الدار التونسية للنشر ١٩٧٢م.
- ديوان شعر مطبوع، تحقيق: عثمان الكعّاك، دار الثقافة– بيروت ١٩٦٤م.
- كتاب في القوافي، وهو مفقود، شرحه ابن رشيد الفهري السبتي، وسماه: وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، قسم الوثائق، د ٣٥٠٧، وميكروفيلم ٢٣٩٢.
- منظومة في النحو على روي الميم، ذكر ابن هشام في المغني أبياتًا منها[٣]، ونشرت ملحقة بالديوان، تحقيق: عثمان الكعّاك ١٩٦٤م[٤].
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.

---

[١] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس المقري، ج٣/ ص (١٧٣).

[٢] ديوان حازم القرطاجني، تحقيق: عثمان الكعّاك، مقدمة تحقيق الديوان، ص (١٢–١٣).

[٣] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية/ بيروت ١٩٩١م، ص (٨٩ – ٩٠).

[٤] ينظر المرجع السابق، ص (١٢١–١٣٣).

مقصورة حازم القرطاجني:

أبدع حازم القرطاجني قصيدته المقصورة[١] في مدح الخليفة أبي عبد الله المستنصر الحفصي[٢] (ت ٦٧٥هـ)، ومطلعها:

للــه مَــا قَــدْ هِجْــتَ يــا يومَ النَّوى علــى فُــؤَادِي مِـن تَـبَـاريـحِ الـجَـوى

صاغها من بحر الرجز التام، معارضًا بها مقصورة أبي بكر بن دريد[٣]، بيد أنها فاقتها طولا؛ إذ بلغت ألف بيت وخمسة[٤].

---

[١] تذكر المصادر ثلاثة شروح لمقصورة القرطاجني؛ الأول: رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، أبو القاسم محمد الشريف السَّبتي (٧٦٠هـ)، الثاني: أداء اللازم في شرح مقصورة حازم، أبو القاسم التجاني (عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني (ت ٧٢١هـ)، وهو مفقود، ينظر أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج ٣/ ص (١٧٢)، والأعلام، الزركلي، ج٤/ ص (١٢٥)، والثالث: نسبه حاجي خليفة إلى الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، وذكر أنه لم يكمله. ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ)، عُني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقيا المدرس بجامعة إسطنبول، نشر مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م، ج٢/ ص (١٨٠٧).

[٢] هو أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي، أصبح خليفة في تونس، ولقب بأمير المؤمنين المستنصر سنة ٦٥٧هـ، وكان أقوى حكام المغرب بعد زوال سلطان الموحدين، توفي سنة ٦٧٥هـ، ينظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي، ط١ مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨م.

[٣] مقصورة أبي بكر بن دريد أقدم المقصورات المطولة، وتعد في أصح رواياتها ٢٥٣ بيت، مدح بها ابني ميكال، وهما: الشاه عبد الله بن محمد بن ميكال أمير الأهواز في أيام المقتدر، وابنه إسماعيل بن عبد الله أبو العباس. ينظر الأعلام، الزركلي، ج ١/ ص (٣١٨)، ومطلعها:

إمّــا تَرَيْ رَأسِـــي حَــاكَى لَوْنُــهُ طُرَّةَ صُـــبْحٍ تَحْـتَ أذيــالِ الـدُّجَى

ينظر شرح مقصورة ابن دريد، الخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط مكتبة المعارف/ بيروت، ١٩٩٤م.

[٤] بلغ عدد أبيات المقصورة في تحقيق الدكتور مهدي علّام – حوليات كلية الآداب، وفي نشرة الحبيب بن الخوجة في كتاب (قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني)– بلغ عدد أبياتها ألف بيت وخمسة، بينما بلغ في شرح الشريف السَّبتي ألف بيت وثلاثة.

عدّها النقاد قديمًا وحديثًا ملحمة شعرية بما تضمنته من لوحات؛ غزلية ووصفية ووجدانية وتاريخية وجغرافية...، فوصفها الشريف السَّبتي في مقدمة شرحه بقوله: "لما تأملت مقصورة الإمام الأوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ألفيتها تجمع ضروبًا من الإحسان، وتشتمل على أفانين من البيان، وتتضمن فوائد جمة من علم اللسان، وتشهد لمنشئها بما انتظمه من غرائب الأنواع، واتسمت من عجائب الإبداع فإنه سابق الميدان...، لا جرم أنها بما أورد من الفوائد وقيّد من الأوابد، ووصف من المعاهد، وضرب من المثل الشارد، وأومأ إليه من الوقائع والمشاهد، وانتحاه من المنازع، ديوان من دواوين العرب، أودعه كثيرًا من تواريخها، وجمع فيه من المعارف ما يعترف لقدمه برسوخها...[١]"، ثم أورد السَّبتي ما نُقل عن أبي الحكم مالك بن المرحل حين اطلع على المقصورة، فقال: "لا أقول هذا ديوان شعر، ولكني أقول: هو ديوان علم[٢]".

كما وصفها مهدي علّام في مقدمة التحقيق، قائلًا: "قد بلغ ما لم يبلغه قبله ولا بعده شاعر من شعراء المقصورات، وقد استحق بذلك أن يكون أستاذ المقصورات شأنه في هذا الضرب من النظم شأن الحريري في المقامات...[٣]"، وقال الحبيب بن الخوجة: "إنه بذّ بعمله هذا المتقدمين، وأفحم المزاحمين له والمعاصرين واللاحقين[٤]".

---

[١] رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، الشريف السَّبتي، تحقيق وشرح محمد الحجوي، مقدمة شرح المقصورة، ص (١١٣ – ١١٤).

[٢] السابق، ص (١١٤– ١١٥).

[٣] أبو الحسن حازم القرطاجني وفن المقصورة في الأدب العربي، د/ مهدي علّام، حوليات كلية الآداب، المجلد الأول، مايو ١٩٥١م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ص (٢٣).

[٤] قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، الحبيب بن الخوجة، ص (٤٨ – ٨٩).

المبحث الأول

البنية الحجاجية العامة لمقدمة المقصورة

عمد القرطاجني إلى تشكيل بنية خطاب مقدمته وفق إستراتيجية خطابية، تستهدف إقناع المرسل إليهم بأهمية المتن وقيمته الجمالية والدلالية والمعرفية، وهذا ما أسهم في تحقيق التسليم والتصديق والإذعان للطرح المقدم، فضلًا عن استمالة النفوس نحو قراءة المتن والتفاعل معه. ومن ثم تعالقت بنية خطاب المقدمة مع بنية خطاب المتن دلاليًّا وإيحائيًّا، ليؤدي هذا الخطاب التقديمي دوره الإقناعي التأثيري.

وقد اتضح –من خلال تتبع حركة المعنى من صدر المقدمة إلى خاتمتها– حرص القرطاجني على تنظيم أجزائها وترتيبها ترتيبًا مترابطًا محكمًا، وهو ما يتفق مع مبدأ مراعاة ترتيب أجزاء القول فيما ورد عند أرسطو؛ إذ يشير إلى أن الكلام يتضمن جزأين رئيسين بعد الاستهلال، فيقول: "لابد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة، أو أن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا؛ ذلك أنه حين نبرهن، إنما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلا بعد البرهنة عليه، وأولى هذه العمليات؛ هي: العرض، والثانية الدليل[١]".

وتتألف بنية مقدمة المقصورة من ثلاثة أجزاء رئيسة؛ الاستهلال، والعرض، ثم الخاتمة.

بنية الاستهلال:

عُني القرطاجني باستهلال مقدمة مقصورته بما يجذب السامع، ويحقق انتباهه وإصغاءه، وهذا ما يؤكد وعيه بما يؤديه الاستهلال من وظيفة تواصلية تأثيرية؛ إذ يسهم في "جعل السامع منتبهًا ومنقادًا وعطوفًا[٢]"، فاستهل مقدمته بقوله: "**الحمدُ للّهِ الَّذِي**

---

[١] الخطابة، أرسطو، حققه وعلّق عليه د/ عبد الرحمن بدوي، دار القلم – بيروت ١٩٧٩م، ص (٢٢٨–٢٢٩).

[٢] مدخل إلى الخطابة، أوليفي روبول، ترجمة رضوان العصبة، مراجعة حسان الباهي، ط ٢٠١٧ أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص (٨٨).

أنْطَقَنَا بأَفْصَحِ الأَلْسُنِ، ووَفَّقَنَا إلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ ما يَقْبُحُ مِنَ الكَلامِ ومَا يَحْسُنُ، وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ، أَفْضَلِ مَنْ سَمِعتْ به الآذَانُ ونَظَرَتْ إليه الأعْيُنُ، وحَيَّا اللهُ بنفحَاتِ رِضْوَانِه الطَّيِّبةِ، وسُقْيَا رَحْمَتِه الصَّيِّبةِ جَمِيعَ صحابتِهِ وأُسْرَتِهِ وعِصَابَتِهِ الكرِيمَةِ وعِتْرَتِهِ، واخْتَصَّ بأَعْبَقِ تلكَ الرَّيَّا، وأَغْدَقِ تلك السُّقيَا طليعَةَ اخْتِصَاصِه وفئةَ اسْتِخْلاصِهِ. وآثَرَ بالكَمَالِ الدَائِمِ والسَّعْدِ المُلَازِمِ قمرَهَا الأزهَرَ وسِرَاجَهَا الأنْوَرَ، سيِّدَنَا الخليفةَ المُسْتنصِرَ بالله، المَنْصُورَ بفضلِ اللهِ، أميرَ المُؤْمِنينَ...[1]".

ويلاحظ الفاحص لهذا الاستهلال أنه بدأه بالتحميد؛ لما يمتلكه هذا النوع من الاستهلال الديني من سلطة خطابية إقناعية، تستميل السامع وتجذبه، وتدفعه إلى الوقوف أمام قدسية القول المعبر عن استحقاقه سبحانه للثناء والمدح دون غيره. كما تتضح السلطة الإقناعية التأثيرية لهذا الاستهلال في تناصه مع الخطاب الديني المتمثل في افتتاح القرآن الكريم لسورة الفاتحة بعد البسملة بقوله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ويتناص كذلك مع ما أُثر عن الخطباء الأوائل؛ إذ كانوا يحرصون على افتتاح خطبهم بالتحميد، فيقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: البتراء[2]". وقد أشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) إلى الوظيفة التواصلية التأثيرية لهذا النوع من الاستهلال في قوله: "ولهذا جُعل أكثر الابتداءات بالحمد لله؛ لأن النفوس تتشوف للثناء على الله؛ فهو داعية إلى الاستماع[3]".

---

(١) مقدمة المقصورة، حازم القرطاجني، تحقيق د/ مهدي علام، حوليات كلية الآداب، المجلد (٢)، مايو ١٩٥٣م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ص (١٢).

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ (عمرو بن بحر، أبو عثمان ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر) ١٩٤٨م، ج٢ / ص (٦).

(٣) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢م، ص (٤٣٧).

واستكمل القرطاجني استفتاحه الديني بالصلاة على النبي الكريم، والثناء عليه، والدعاء لجميع صحابته، وآل بيته الكرام، وذلك في سبيل تحقيق القبول في نفوس المرسل إليهم، واستمالتهم نحو الخطاب، ثم أعقب دعاءه للنبي وصحابته، بالدعاء لمن اختصهم الله بالخلافة والإمامة، يقصد خلفاء بني حفص الذين ينتمي إليهم ممدوحه، ثم أردف دعاءه لهم بالدعاء لممدوحه والثناء عليه؛ فوصفه بقمر الخلافة المنير، وسراجها المضيء، المنصور بفضل الله.

وقد أراد القرطاجني أن يصبغ استهلاله بصبغة قومية عربية، فأشار إلى فصاحة اللسان العربي دون غيره من الألسنة باستعمال صيغة أفعل التفضيل، وذلك في ظل اختلاط الألسنة بعد زحف الفرنجة على المدن الأندلسية؛ إذ يقول حامدًا الله على أن وهبه لغة فصيحة اللسان: "**الحمدُ للهِ الَّذِي أنْطَقَنَا بأَفْصَحِ الأَلْسُنِ**"، كما أشار –في استهلاله– إلى ما يمتلكه من ذوق أدبي وحس نقدي يمكنه من التمييز بين الجيد من الكلام والرديء؛ إذ يحمد الله على أن وهبه حسن البيان، فيقول: "**ووَفَّقَنَا إلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ ما يَقْبُحُ مِنَ الكَلامِ ومَا يَحْسُنُ**"، وهذا ما أسهم في توجيه المتلقين وجهة خطابية محددة، تدفعهم نحو قراءة المتن وتأمل خصائصه اللغوية والجمالية.

ثم ينتقل القرطاجني إلى بيان صفات ممدوحه وخلاله الكريمة التي طرحها في متن المقصورة، وهو ما يمثل توجيهًا حجاجيًّا نحو أهداف الخطاب التقديمي، ومقاصده المتعلقة بربط المتلقين بموضوع المتن، وإعدادهم إعدادًا ذهنيًّا للولوج في عالمه، والتفاعل معه، والتسليم والتصديق والإذعان لكل ما جاء فيه.

تجده يخبر بأن الله قد جمع لممدوحه العلم النافع والعمل به، كما أن خيره وفضله قد عم الزمان كله، حتى كأنما زال ما كان ينسب إلى هذا الزمان من ميل أو جور، فتبدلت الأحوال في عهده، "**جَمَعَ اللهُ لَهُ العلمَ والعملَ، وطَلَعَ على الأيَّامِ طُلُوعَ الشمسِ في الحَمَلِ، فقَامَ بِه وزنُ الزمانِ واعْتَدَل**[1]"، وانقسمت أفضاله بين العناية بالعلوم والمعارف الجليلة، وبذل الأموال في سبل الجود والمعروف، "**وفَوائِدُ جَنَانِهِ وبَنَانِهِ بَيْنَ**

[1] مقدمة المقصورة، ص (١٢).

المعارفِ الجليلةِ والعَوَارِفِ الجَزِيلَةِ تَتَقَسَمُ[1]"، فتحقق النفع لكل طالب علم وطالب نوال[2]، وأصاب الضر أعداءه بما تحلى به من شجاعة وإقدام، "**وانْقَسَمَتْ بَيْنَ نَفْعِ العُفَاةِ وضَرِّ العُدَاةِ شَمَائِلُهُ، وَوَسِعَتْ أَرْبَابَ النُّهَى وطُلّابَ اللُّهى نَوَافِلُهُ**[3]".

وهنا يحيل القرطاجني المخاطبين إلى متن القصورة؛ ليربطهم بما وصف به ممدوحه؛ إذ يقول كاشفًا عن آثاره وأفضاله:

بَدْرٌ جَـــلَا بِهِ الإِلَهُ مَا قَد دَجَـــا ... وجَبَـلٌ أَرْسَـــى بِـهِ مَـا قَـد دَحَـا
يُـعْطِي ويُـمْطِي والـزَّمَـانُ يَـقْـتَـفِي ... آثَـــارَهُ مُمْتَثِـــلًا فِيمَـا أتَـــى
كَمْ خَصَّ أَرْبَـابَ الـنُّـهَى إفْـهَـامَـهُ ... بِأَنْعُـــمٍ دَعَـــا إِلَيْهَـــا النَّقْـــرَى
وعَمَّ أَرْبَـــابَ اللُّهَـــى إِنْعَـــــامَهُ ... بِأَنْعُـــمٍ دَعَـــا إِلَيْهَا الجَفْلَـــى[4]

وقد أراد المرسل هنا أن يقنع المخاطبين بمتابعة قراءة المقصورة، والتفاعل معها بالتأمل العميق والملاحظة الواعية؛ للكشف عما تحمله من مقاصد وغايات تتصل بمدح

---

(1) مقدمة المقصورة، ص (١٣).

(2) تؤكد سيرة المستنصر ووالده الأمير أبي زكريا أنهما كانا يستمعان إلى الشعراء، ويفاضلان بينهم، ثم يجيزان أفضلهم نظمًا، فضلًا عن رعايتهما للعلماء والأدباء، فقاما بإنشاء بيت للأدباء والكتّاب يقيمون فيه، ويجدون فيه كل أسباب الراحة من مأكل ومشرب...، وكذلك قاما بتأسيس مكتبة عامة بلغ عدد ما بها من كتب ستة وثلاثين ألفًا، حتى إن ابن خلدون لما احتاج إلى مراجعة أمهات الكتب بعد أن وضع أصول مقدمته ذهب إلى تونس للتزود مما تضمنته المكتبة الحفصية من مراجع ومؤلفات. ينظر حازم القرطاجني حياته وشعره، د/ كيلاني حسن سند، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م، ص (١٤).

(3) السابق، ص (١٣).

(4) مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق د/ مهدي علّام، حوليات كلية الآداب، المجلد (٢)، مايو ١٩٥٣م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ص (٢٦). اللُّها جمع لُهْية ولُهْوة وهي العطية، يقال: إنه معطاء اللُّهَا إذا كان جوادًا يعطي الشيء الكثير، لسان العرب، مادة (لها). النَّقَرَى والجَفَلَى: دعاهم النَّقَرَى إذا دعا بعضًا دون بعض، يُنَقِّرُ باسم الواحد بعد الواحد، وقال الأصمعي: إذا دعا جماعتهم قال: دعوتهم الجَفَلَى. لسان العرب، مادة (نقر). دعوتهم النَّقَرَى: أي دعوة خاصة...، والجَفَلَى: أن تدعو الناس كلهم، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، السَّبتي، ص (٤١٢).

المستنصر، وإبراز ما تحلى به من صفات وخلال. وهذا مما يسهم في رسم صورة مُثلى لما ينبغي أن يكون عليه كل راعٍ متعهدٍ لرعيته بالعناية والاهتمام.

ثم يعمد القرطاجني إلى تنويع أسلوبه بتقديم مقطوعة شعرية، تكسر رتابة السرد، وتدفع الملل عن المخاطب، وتعضد المسار الحجاجي الإقناعي المحقق للتفاعل مع المتن والإقبال عليه؛ إذ يربط المخاطبين بما وصف به ممدوحه من خلال كريمة وشمائل عظيمة، فيقول:

فَالعِلْمُ مِن جَنَانِهِ والرِّزْقُ مِنْ بَنَانِهِ
والبَرْقُ مِن ظُبَاهُ والرِّيحُ فِي عِنَانِهِ
والدُّرُّ مِن حُلَاهُ والزَّهْرُ مِنْ بَيَانِهِ
مَاءُ النَّدَا مَعِينٌ يَفِيضُ فِي مَعَانِهِ[١]

ويستكمل القرطاجني اجتهاده في إقناع المتلقين بمقاصد خطابه، فيبالغ في وصف علو منزلة الخليفة المستنصر، وعزة سلطانه، وسمو قدره بين الملوك، "**واسْتَقَرَ فَوْقَ سَرِيرِ مُلْكِهِ، فَانْحَطَ كُلُّ مَلِكٍ عَن سَرِيرِهِ وتَخَلَّى**[٢]"، فقد فاقهم وسبقهم قوة وعزة وعدلًا، "**بَهَرَ أَمْلَاكَ الأُمَمِ والعَوَالِمِ سِبَاقًا...**[٣]"، ففاز جبينه بالتاج المحلى، وصيّر رماحه كقداح الميسر؛ لينال بها مراده ويحقق بها الفوز على أعدائه، "**فَأَحْرَزَ جَبِينُهُ ويَمِينُهُ التَّاجَ المُحَلَّى والقِدْحَ المُعَلَّى**[٤]". وهنا يحيل المرسل أذهان المخاطبين إلى ما عرضه في متن المقصورة من معانٍ تتعلق بوصف مكانة ممدوحه بين الملوك، إذ يقول:

مَلِكٌ إِذَا عُدَّ المُلُوكُ فَاسْمُهُ مُعْتَمَدٌ تَقْدِيمُهُ بَادِي بَدَا[٥]

---

(١) مقدمة المقصورة، ص (١٣).
(٢) السابق، ص (١٤).
(٣) السابق، ص (١٤).
(٤) السابق، ص (١٤).
(٥) المقصورة، ص (٣٤).

ثم يقول بعد ذلك بأبيات:

سَـــاقَ المُلُوكَ بِعَصَـــا سُـــلْطَانِـهِ فَكُلُّهم صَـــيَّرَهُ عَبْـدَ العَصَـــا[1]

ويواصل القرطاجني تأسيس خطابه التقديمي وفق إستراتيجية إقناعية تستهدف التأثير في نفوس المخاطبين، وتدفعهم إلى التسليم والتصديق بكل ما يطرحه من أفكار ورؤى. فتراه يخبر عن ممدوحه بوصفين حجاجين، يعكسان ما تنهض به الصفات من دور حجاجي، "يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع[2]". ويتحدد هذان الوصفان في قوله: "**ثَالِثُ القَمَرَيْنِ، ووَارِثُ العُمَرَيْنِ**[3]"، فعبر بهما عن رفعة مكانة ممدوحه، وسمو منزلته. وعن اتباعه لمسيرة عادلة سار فيها على نهج العمرين (أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما)، مشيرًا إلى إرث النسب؛ إذ كان قوم الممدوح ينتمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهنا يحيل المرسل المخاطبين إلى ما طرحه في متن مقصورته حول أصل ممدوحه الكريم ونسبه العريق، إذ يقول:

خَلِيفَةِ اللهِ المُسَمَّـــى المُكْتَنَـــى خَيْرَ الأَسَـــامِي السَّـــامِيَاتِ والكُنَى
المُرْتَقِي مِن نِسْـــبَـةِ المَجْـدِ الَّتِي تَسْـــمُو إِلَى الفَـارُوقِ أَعْلَى مُرْتَقَى
مِن نِبْعَـــةٍ أُصُولُهَـــا ثَابِتَـــةٌ وَفَرْعُهَا إِلى السَّمَاءِ قَدْ سَمَـــا[4]

ويقول بعد ذلك بأبيات:

مُلْـــكٌ سُلَيْمَـــانِيَّـــةٌ بَسْـــطَتُـــهُ مَا فَوْقَهُ لِمُعْتَـــلٍ مِن مُعْتَلَـــى
جَرَى مِن العَلْيَـا إلى أَقْصَـــى مَـدَى مَـا بَعْـدَهُ لِمُخْتَطٍ مِن مُخْتَطَى[5]

---

(1) المقصورة، ص (١٠٠).

(2) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) لبريلمان وتيتكاه، د/ عبد الله صولة، ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب بتونس، (د.ت)، ص (٣١٦).

(3) مقدمة المقصورة، ص (١٤).

(4) المقصورة، ص (٢٤).

(5) السابق، ص (٢٥).

ويستكمل القرطاجني تأكيده لما تحلّى به ممدوحه من إكرام ونجدة وإحسان وبأس وشدة؛ وفقا لما ورد في متن المقصورة، فيذكر أنه حقق آمال طالبي معروفه، "**وَبَرَكَتْ صَوَادِي الآمَالِ بِوَادٍ مُغْدِقٍ مِن بَرَكَتِهِ، كم رَادَ العُفاةُ بِأَرْضِهِ مِن جَمِيمٍ بَارِضٍ...، وَكَمْ تَسَابَقَتْ هِبَاتُ مَكَارِمِه...**[١]"، فرأى مسائل الطالبين حقوقًا لهم، ورأى تأديته للنوافل بالجود والمعروف، فرضًا عليه، "**وَكَمْ رَأى مَسائِلَ الطَّالِبِين حُقُوقًا ورأَى نَوَافِلَهُ كَالفَرْضِ**"[٢]، فضلًا عما أشاع من الألفة والمودة بينه وبين رعيته؛ فامتلك قلوبهم، "**مَلَكَ القُلُوبَ فَأَحْسنَ في مَلَكَتِهِ**[٣]". وانبسطت عساكر جيشه في أكناف الأرض، وقبضت يده أرواح أعدائه، فحقق الفلاح والفوز برماحه المنسوبة إلى الخَطِّ (موضع باليمامة)[٤]، وكتب له النصر بخط السعود، "**وَأَصْبَحَ النَّصْرُ مُكْتَتَبًا بِخَطِّ السُّعُودِ وصِعَادِ الخَطِّ**[٥]".

وهنا يحيل القرطاجني المخاطبين إلى المتن؛ ليربطهم بما وصف به ممدوحه من جود وشجاعة؛ إذ يقول:

قَدْ قَسَّـــــــم الأَيَّـــــــامَ بَيْنَ أَنْعُمٍ لِمَنْ عَفَـــــا وأَبْؤُسٍ لِمَنْ عَـــــدَا
لَـيْـثُ كِـفَـاحٍ رَائِـعٌ مَـنِ اعْـتَـدَى غَيْـثُ سَـمَـاحٍ مُمْطِرٌ مَنِ اعْتَفَى[٦]

ويختتم القرطاجني استهلاله بما يؤكد علو شأن ممدوحه، وسمو منزلته؛ إذ تشرفت أعالي الملوك بخدمة دولته، وانتظمت الدول في طاعته، ثم أعقب هذا بالدعاء له بأن

---

(١) مقدمة المقصورة، ص (١٤).

(٢) السابق، ص (١٤).

(٣) السابق، ص (١٤).

(٤) يقول الجوهري: الخَطُّ: موضع باليمامة، وهو خطُّ هَجَر تُنْسَب إليه الرِّمَاحُ الخَطِّيَّة؛ لأنها تُحْمَل من بلاد الهند، فَتُقَوَّم به. ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (خطط). اليمامة: كانت تسمى جَوًّا والعَروض بفتح العين، قاعدتها حَجْر، وكانت منازل طسم وجديس. ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ) ط٢ دار صادر/ بيروت، ١٩٩٥م، ج٥/ ص (٤٤٢). وهَجَر: مدينة وهي قاعدة البحرين، ينظر معجم البلدان، ج ٥/ ص (٣٩٣).

(٥) مقدمة المقصورة، ص (١٥).

(٦) المقصورة، ص (٣٤).

يزيده الله سعة في الملك، وأن يجمع العباد والبلاد في تصرفه وتحت أمره وإرادته، "**زَادَهُ اللهُ بَسْطَةً فِي مُلْكِهِ، وجَمَعَ العِبَادَ والبِلَادَ فِي سِلْكِهِ**[1]".

ومن ثمَّ تعالقت بنية الاستهلال مع ما طرحه القرطاجني في مقصورته من معانٍ وأفكار؛ بغية ربط أذهان المخاطبين بالمتن، ودفعهم إلى الولوج في عالمه، واستيعاب مضامينه ومقاصده. وبذلك يتحقق التسليم والتصديق في النفوس.

بنية العرض:

انتقل القرطاجني من بنية استهلال خطابه التقديمي إلى عرضه باستخدام العتبة النصية الموسومة بفصل الخطاب (أمَّا بَعْد)، فيقول: "**أَمَّا بَعْدُ، فَإنّي أُرِيدُ أَن أَنُصَّ في هَذا المَجْمُوع...**"[2]، وتتحدد وظيفة هذه العتبة النصية في أن يكون خروج المؤلف من معنى إلى معنى برابطة، ومن ثم يتحقق عنصرا الترابط والإحكام للخطاب، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية بالاقتضاب الذي يقرب من التخلص، ويراد به: "أن يقطع المتكلم كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلامًا آخر غيره..."[3].

وقد عمد القرطاجني في تشكيل بنية العرض إلى تقديم ما يقنع المخاطبين بقيمة المتن الجمالية والدلالية؛ رغبة في جذبهم نحو النص، وإغرائهم بمتابعة القراءة. فيبدأ بما يؤكد استناده في تشكيل بنية مقصورته على أشرف المعاني وأسماها؛ إذ استقاها من بنات أفكاره، ثم ألبسها ألفاظًا فصيحة عذبة تعبر عنها؛ لتتحلى بها كما يتزين بالعقد أو القلادة، "**فَإنّي أُرِيدُ أَن أَنُصَّ في هَذا المَجْمُوع، وأَجْلُوَ في هذا الموضوعِ عَقِيلةً من بَنَاتِ الأفْكَارِ...، وقَدْ تَحَلَّت بِعُقُودٍ مِن كلّ لفظٍ بالقلوبِ مَعْقُودٍ، وتَجَلَّت في سُمُوطٍ من كلّ مَعْنًى بالنفوسِ مَنُوطٍ**"[4].

---

(1) مقدمة المقصورة، ص (١٥).

(2) السابق، ص (١٥).

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩م، ج٢/ ص (٢٥٩). وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، د/ عبد المتعال الصعيدي، ط مكتبة الآداب، القاهرة، ج٤/ ص (١٥٦).

(4) مقدمة المقصورة، ص (١٥).

فاكتمل –بذلك– بناء مقصورته، وتلاحم نسجها، وانتظم عقدها من درر المعاني، ولآلي الألفاظ، بعد أن غاص بخاطره في بحر الأغراض والمقاصد؛ إذ يصف حال نفسه، وهو يبحث في خاطره عن شريف المعاني وبديع الألفاظ، فيصور حاله بحال من يغوص في البحر؛ باحثًا عن الدرر (المعاني)، وقد أحاطت بها أصدافها (الألفاظ)، "**وَغَاصَ الخاطرُ في بحرِ الأغراضِ على دُرَرٍ أَصْدَافُهَا جَوَاهِرُ...، فانتَظَمَ عِقْدُهَا من اللؤلؤ المَكْنُون**[١]". وهنا يستند القرطاجني –في إقناع المخاطبين– إلى حجاج السلطة، ويقصد بها الحجة التي تقرها سلطة معينة، يقبلها المتلقي، ولا يمكن له دفعها أو إنكارها، ولكي يمارس المرسل سلطته على المتلقي لا بد أن "يستدعي سلطة يوافق عليها مخاطبه؛ لأنها تشكل جزءًا من ثقافته[٢]"؛ إذ يشير فيما ذكره حول ارتباط ألفاظ مقصورته بمعانيها، ومناسبتها لها، مما يحقق عناصر الانتظام والتماسك والتلاحم بين أجزائها– يشير في هذا إلى ما تتفق سلطة النقاد على وصفه بالجودة والإحكام؛ إذ يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغًا واحدًا، وسبك سبكًا واحدًا[٣]"، ويقول ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) عن ارتباط الألفاظ بالمعاني: "اللفظ جسم، روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته[٤]".

كما يحيل القرطاجني المخاطبين هنا إلى متن المقصورة؛ إذ يقول مبيِّنًا تفرد نظمها، وجودة رصفها، وتميزها ببديع المعنى وفصيح اللفظ:

نَظَمْتُهَا فَرِيدَةً فِي حُسْنِهَا ... مَنْظُومَةً نَظْمَ الفَرِيدِ المُنْتَقَى
تَخْطُبُ بِالأنْفُسِ أَعْلاقٌ لَهَا ... نَفِيسَةٌ بِكُلِّ عِلْقٍ تُفْتَدَى
تَخَيَّرَ اللَّفْظَ الفَصِيحَ خَاطِرِي ... لَهَا ولَمْ يَحْفَلْ بِحُوشِيِّ اللُّغَى

---

[١] مقدمة المقصورة، ص (١٥ – ١٦).

[٢] في بلاغة الحجاج. د/ محمد مشبال، ط دار كنوز المعرفة، الأردن ٢٠١٦، ص (١٣٦).

[٣] البيان والتبيين، الجاحظ، ج١/ ص (٦٧).

[٤] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط (٤) دار الجيل، ١٩٧٢م، ج١/ ص (١٢٤).

قَلَّدَهَا مِن المعَـــــانِي حِلْيَـــــةً وزَفَّـهَـا إلَـى الـمَـعَـالِـي وهَـدَى[1]

ويستكمل القرطاجني تقديمه لما يهيئ المخاطبين للدخول في عوالم المتن، واستنباط ما يحمله من مقاصد وغايات، فيصف مقصورته شكلًا ومضمونًا، ويحدد الغرض الرئيس من وراء نظمها. فمن الناحية الشكلية يذكر أنه صاغها من بحر الرجز التام، معارضًا بها مقصورة أبي بكر بن دريد، وهي من أشهر المقصورات في الأدب العربي وأقدمها؛ وهذا مما يمثل حجة داعمة لقيمة مقصورة القرطاجني الأدبية، ثم يحدد الغرض الرئيس من وراء نظمها، ويتمثل في مدح الخليفة المستنصر وذكر أفضاله ومنجزاته، "**وَأطْلَعتُ فِيهَا نُورًا هادِيًا من ثناءِ الحَضْرَةِ المَنْصُورةِ...**"[2].

ومن ناحية المضمون يُفصّل القرطاجني ما اشتملت عليه قصيدته المقصورة من معانٍ وأغراض ومقاصد وفنون؛ قصدًا إلى ربط المخاطبين بالمتن، ودفعهم إلى التفاعل معه، وتأمل مقاصده وغاياته. فيقول: "**وَانْقسَمَ مَا اشْتَمَلت عَلَيْه مِن الأغْرَاضِ والفنونِ إلى: مَدْحٍ وغَزَلٍ وحِكْمَةٍ ومَثَلٍ، ووَصْفِ مَعَالِمَ ومَجَاهِلَ، وَمَنَازِلَ ومَنَاهِلَ، ورِيَاضٍ وأزْهَارٍ، وحِيَاضٍ وأنْهَارٍ، وأَزْمُنٍ وأعْصَارٍ، ومُدُنٍ وأمْصَارٍ، وجَوَازٍ في قِفَارٍ، وجَوَارٍ في بِحَارٍ، وصَيْدٍ وقَنَصٍ، ووَعْظٍ وقَصَصٍ، ومَواقِفَ تَعجُّبٍ واعْتِبَارٍ، ومَوَاطِن تَبَسُّمٍ واسْتِعْبَارٍ...**"[3].

وهنا يحيل القرطاجني المخاطبين إلى متن المقصورة؛ إذ يربطهم بفنونه ومضامينه، ويعينهم على فهم مقاصده، فيذكر أنها اشتملت على فنون المدح، والغزل، والحكمة، والمثل؛ إذ بدأها بمقدمة غزلية؛ التزامًا بالتقاليد الموروثة في افتتاح القصيدة العربية، فيقول في مطلعها:

للـهِ مَـا قَـدْ هِجْـتَ يـا يومَ النَّوى على فُؤَادِي مِن تَبَـاريحِ الجَوى[4]

---

(1) المقصورة، ص (١٠٩- ١١٠).

(2) مقدمة المقصورة، ص (١٧).

(3) السابق، ص (١٦).

(4) المقصورة، ص (٢٠).

ثم يحسن التخلص من الغزل إلى المدح؛ فيقول موظفًا عنصر المفارقة:

ضَـــنَّـــتْ بِمَنْزُورِ القِرَى مِن الكَرَى كَـي لا أَرَى طَيْفًـا لَهَـا إِذَا سَـــرَى
فَلَو تَجُودُ قَـدْرَ مَـا ضَـــنَّـــتْ حَكَـتْ جُـودَ أَمِـيرِ الـمُـؤْمِـنِـينَ الـمُـرْتَـجَـى[١]

وقد تضمن الغزل مواضع أخر من المتن؛ إذ وظفه في أثناء استرجاعه لذكريات ماضيه في ضواحي قرطاجنة، فيقول:

كَمْ زُرْتُ فِي تِلْـكَ المَغَـانِي الغُرِّ مِنْ غَـانِيَـةٍ تَنْظُر عَنْ عَيْنَيْ رَشَـــا[٢]

كما احتوى المتن على أبيات في الحكمة والوعظ؛ لينقل القرطاجني خلاصة تجاربه وخبراته إلى المخاطبين، فيقول:

وخَـيْـرُ مَـا يَـدَّخِـرُ الـمَـرْءُ ومَـا يُبْقِيهِ فِي أَعْقَـــابِهِ طِيبُ الثَّنَـــا
والحُرُّ للحُرِّ مُعِينٌ مُنْجِـــــدٌ لَــهُ عَلَى الخَطْـبِ إذا الخَطْـبُ عَرَا
وكلُّ مَن يَسْـــتَصْـــعِبُ السَّـــهْلَ فَمَا يَسْـــتَسْـــهِلُ الصَّـــعْبَ إذا أَمْرٌ عَنَا[٣]

وتضمن المتن –كذلك– مجموعة من الأمثال العربية، منها قوله:

حُسْـــنُ البِلادِ كُلِّهَا مُجْتَمِـــــــعٌ لَهَا و"كُلُّ الصَّـــيْدِ في جَوفِ الفَرَا"[٤]

---

(١) المقصورة، ص (٢٤).

(٢) السابق، ص (٦٥).

(٣) السابق، ص (٨٦).

(٤) السابق، ص (٢٧). "كُلُّ الصَّيْدِ في جَوفِ الفَرَا" مثل يضرب للشيء يكون عظيمًا، فيُغْنِي لعظمه عن جميع أبناء جنسه، كأنها كلها حاصلة فيه. والأصل فيه أن الصائد إذا صاد الحمار الوحشي، فكأنه حصل على جميع المصيدات؛ لعظم الحمار الوحشي؛ لأنه يغني عن جميعها. رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ص (٤٢٠). وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنبًا، والآخر ظبيًا، والثالث حمارًا، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا عليه، فقال الثالث: "كل الصيد في جوف الفرا"، أي هذا الذي رزقت، وظفرت به يشتمل على ما عندكما. مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر ١٩٧٢م، ج٢ / ص ١٣٦.

ومن الأغراض التي تضمنها المتن: غرض الوصف الذي يبرز في صور عدة؛ وصف معالم ومجاهل، ومنازل ومناهل، ورياض وأزهار، وحياض وأنهار...؛ إذ يقول في وصف تونس حاضرة الدولة الحفصية:

إنْ ذُكِرَتْ مُـدْنُ الـدُّنَى فَهْيَ الَّتِي يُـخْـتَـتَـمُ الـفَـخْـرُ بِـهَـا ويُـبْـتَـدَا[1]

ويصف موطنه قرطاجنة قائلًا:

فـي بُقْعَـةٍ كَجَنَّـةِ الخُلْـــــدِ الَّتِي يَرَى بِهَـا كلُّ فُؤَادٍ مَـــا اشْتَهَـــــى
تَجْرِي بِهَـا الأَنْهَـارُ مِنْ مَـاءٍ ومِنْ خَمْرٍ ومِن رِسْـــلٍ وأَرْيٍ قَدْ صَـــفَا[2]

ويصف جانبي النهر في صورة بديعة، فيقول:

وَقَـدْ تَـرَاءَى الـجُـرُفَـانِ مِـثْـلَـمَـا دَنَـا خَلِيـلٌ مِنْ خَلِيـلٍ قَـدْ صَـــفَـا
رَامَـا اعْتِنَـاقًـا ثم لم يُـمْكِنْـهُمَـا فَـبَـكَـيَـا نَـهْـرًا لإِخْـفَـاقِ الـمُـنَـى[3]

ويصف الرياض والأزهار مسترجعًا ربيع ماضيه في البيئة الأندلسية الساحرة، فيقول:

نُسْـــقَى كُؤُوسَ الأُنْسِ في حَـدَائقٍ بأَكْؤُسِ الأَحْداقِ فيهـــــا يُنْتَشَـــى
قـد ارْتَـدَى البَنَفْسَـــجُ النَّضْـــرُ بهـا مِن زُرْقَةِ الجَوِّ الصَّـــرِيحِ مَا ارْتَدَى[4]

ويذكر منازل ومواضع شتى، فيصفها وصفًا ممزوجًا بالحنين إليها:

وكُدْيَـــــــةُ الرَّشِـيدِ مَا أَكْدَى بها من قَنَصِ الأُنْسِ الشَّـــرِيدِ من سَـــمَا
كَـــــــمْ قَد سَعِدْنَا إذ صَعِدْنَا حَوْلَهَا من سَـــرْحَةٍ لِصَـــرْحَةٍ ومُسْـــتَـــــوى
وكَـــــــمْ إلى القَنْطَرَةِ البَيْضَـــاءِ قَد مَشَـــى بِنَا الأُنْسُ رُوَيْـــــــدًا وَرَهَا
وكَـــــمْ لنـــا بالزَّنَقَـــات وَقْفَـــةُ حيث اسْـــتَدَارَ النهرُ منها وانْحَنَى[5]

---

[1] المقصورة، ص (٢٦).

[2] السابق، ص (٣٥). الأري: العسل، لسان العرب، ابن منظور، مادة (أري).

[3] المقصورة، ص (٤٦).

[4] السابق، ص (٥٣).

[5] السابق، ص (٤٦)، كدية الرشيد، القنطرة البيضاء، الزنقات: مواضع بالأندلس، ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤/ ص (٣٢٣ – ٣٢٤)، ج٥/ ص (١٠٧).

ويصف مشاهد الصيد، فيقول:

ونَسْـــتَثِيرُ الصَّـــيْـدَ من خَمَـائِـلٍ قَدْ أَخْمَلَتْ دَارينَ في طِيبِ الشَّـــذَا[١]

كما يذكر –بحزن وأسى– ما حل بالأندلس من خراب ودمار:

وَدَمَّرَتْ تُـدْمِيـرَ سُـــحْـبُ فِتْنَـةٍ وَبَـارِقٌ مـن مَـطْـلَـعِ الـبَـغْـي بَـغَـى
ومَـحَـقَـتْ قُـرطُـبَـةً كـمـثـل مـا قَـدْ مَحَقَ البـدرَ السَّـــرَارُ ومَحَـا
وصَـــــارَ لـلـوحشـــــةِ كُـلّ منـزلٍ قـد كـان لـلأنسِ بحِمْصَ يُعْتَرَى[٢]

ويصف حسرته على ضياع ملك المسلمين في الأندلس، فيقول:

وَبَلْـــــدَةٍ قَـــدْ عُقِمَـــتْ عِيدَانُهَـــــا فَمَـا سِـــوى النَّبْعِ لهـا مِن مُجْتَنَى
أَصْـــمَيْتُ آمَـالي بـأقْوَاسِ السُّـــرَى فيهـا فكـانـت مثـل أقْوَاسِ السَّـــرَا[٣]

ويقص ما حدث في موقعة الأرك، وما حقق الموحدون فيها من نصر؛ أملًا أن يتكرر الأمر، وتعود الأندلس إلى أهلها، فيقول:

قَـادُوا إلـى أنـدلـسٍ كَـتَـائِـبًـــــا أمَامَهـــا النَّصْـــرُ العَزيـــزُ قد قَـدَى
وجَلَّلُوا شـــطَّ المَجَـازِ سُـــبَّقًـا تَعْـدُو إلى غَزْو الأعَـادِي الجَمَزَى[٤]

ويعرض لمواقف وقصص من التاريخ، تثير التعجب في النفوس، وتعطي العظة والعبرة، فيقول مؤكدا تحقق القدرة الإلهية في أصغر الأشياء:

---

(١) المقصورة، ص (٣٧).

(٢) السابق، ص (١٠٣). قرطبة: أعظم مدائن الأندلس، وهي مدينة حصينة بسور ضخم من الحجر. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤/ ص (٣٢٤). تُدْمِير: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيّان، وهي شرقي قرطبة، لها معاقل ومدن، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتسير العساكر أربعة عشر يومًا. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢ / ص (١٩). حِمْص (إشبيلية): مدينة عظيمة، تقع في غربي قرطبة، قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج١/ ص (١٩٥).

(٣) المقصورة، ص (٧٧).

(٤) السابق، ص (١٠١).

لا تَعْتَقِـــد أنَّ لِخَـــلـــــقٍ قُـــوَّةً ... إلا إذا مَا اللهُ أَعْطَاهُ القُـــــــــوَى
فَأَصْغَرُ الأشياءِ قد أثّـــــرَ فـــــي ... أَعْظَمِـهَـا بـالـعوْنِ مِن رَبِّ الـعُـلَا
قـد أهلـكَ الأُخْبُوشَ طَيْرٌ قـد رَمَى ... جُيُوشَهُم بمَكَّة بِمَـــــا رَمَـــــــى
وهدَّ قِـــدْمًـــا هُـدْهُـــدٌ بِنَبَـــأٍ ... مَا كَانَ هَدْهَادٌ لِبِلْقِيس ابْتَنَـــــــى
وقد أَعَـــــاد الفأرُ ســـــدَّ مَـــأْرَبٍ ... دَكًّا كأن لم يَبْنِهِ من قد بَنَـــــــى
وأَلْقَت النُّمْـــــرُوذَ عن كُرْسِيِّـــــه ... بَعُوضـــــةٌ عَـدَت عليـه إذ عَـدَا[1]

ويستكمل القرطاجني حديثه عن مراحل بناء المتن، وهو ما يؤكد رغبته في إغراء المخاطبين بقراءة عمله والإقبال عليه، فيصور ما بذله من جهد ذهني في سبيل تشكيل المعاني المعبرة عن مقاصد خطابه وغاياته، فكان كالصائد الذي يقتنص فريسته من خفي المراصد، حتى اهتدى فكره إلى ما طلبه من معانٍ شريفة، أحكم عقله نسجها وتأليفها، فيقول:" **إلى غير ذلك مِن ضروبِ المقاصدِ التي أَرَاغَ الخاطرُ اقْتِنَاصَهَا مِن خَفِيّ المراصدِ، واهْتَدَى إليها رائدُ الفكرِ...**[2]".

وترى القرطاجني هنا يفرض سلطته النقدية على المخاطب، فيتوجه إليه بصفته ناقدًا بصيرًا بالشعر؛ إذ يحكم على عمله بالجودة والإتقان؛ بغية استمالة المخاطب، وتحفيزه على قراءة المتن، وكسب تضامنه وتفاعله معه، فتجده يخبر عن إحكام صياغة مقصورته من خلال ائتلاف ألفاظها ومعانيها، واحتوائها على فنون بلاغية، تنشط ذهن السامع، فتزدان بها مسامعه؛ لفرط حسنها، فيقول: "**قَدْ أَحْكَمَ صِيَغَها ومَبْنَاهَا، وقَسَّمَ صنْعَةَ لفْظِهَا ومَعْنَاهَا إلى مَا يُنَشِّطُ السامعَ ويُقَرِّطُ المَسامِعَ مِن تجْنِيسٍ أنيسٍ، وتطْبِيقٍ لَبِيقٍ، وتشْبِيهٍ نَبِيهٍ، وتَقْسِيمٍ وَسِيمٍ، وتَفْصِيلٍ أَصِيلٍ...**[3]".

ويشير –كذلك– إلى ما اتسمت به قصيدته من سمات فنية تؤكد جودتها، وتتحدد هذه السمات في تناسب ألفاظها، وتناسق أغراضها، وتلاحم أجزائها، فضلًا عما تحدثه من أثر

---

(1) المقصورة، ص (٩٨).
(2) مقدمة المقصورة، ص (١٦).
(3) السابق، ص (١٦).

بديع في نفوس متلقيها، فيشبهها بقلادة العنق في حسن انتظامها، والحديقة التي تبهج النفوس وتروق الأسماع والنواظر في جمالها وبهائها، فيقول: "**فَهِي مِنْ تَنَاسُبِ أَلْفَاظِهَا، وتَنَاسُقِ أَغْرَاضِهَا قِلادةٌ ذَاتُ اتسَاقٍ، ومِنْ تبَسُّمِ زَهْرِهَا، وتَنَسُّمِ نَشْرِهَا حديقةٌ مُبْهِجَةٌ للنفوسِ والأسماعِ والأحداقِ**[١]".

وترى القرطاجني يواصل إقامة الحجج المؤكدة لقيمة مقصورته الجمالية، ومكانتها الأدبية، فيذكر أنها تفوق القصائد طولا، وهي أم القصائد أي أصلها وعمادها؛ لما جمعته من الفوائد التي تفرقت في غيرها. وهي وسطى القلائد أي أجودها؛ إذ تتسم بالبلاغة والفصاحة التي تطلق الألسنة، وتعلي قدر حافظها وتغلي قيمته بما يفيده مما ورد فيها من معارف شتى، تتصل بوصف جغرافية المدن الأندلسية، ورحلات الصيد البرية والبحرية، كما تعرض لمواقف وأحداث تاريخية عدة.

كما يشير القرطاجني إلى ما تحققه مقصورته من أهداف تواصلية تأثيرية، فيقول إنها "**تُوقِظ القلوبَ الوَسِنةَ، وتُؤنِسُ وتُسَلِّي...، فيها تذكِرةٌ لمَن تذكَّرَ، وتَسْلِيةٌ لمن أنكرَ مِن الزمانِ، وعَرَفَ ما أنكرَ**"[٢]. فتهدف إلى إيقاظ القلوب الغافلة، وإثارتها؛ لإدراك حقائق الأمور. كما تؤثر في نفوس متلقيها؛ إذ تؤنسهم وتسليهم بما تقصه من عجائب الأخبار، وفيها عبرة وتذكرة لمن أراد أن يعتبر بما تعرضه من تقلبات الدهر بالأمم، وفيها تسلية لمن تغيرت أحواله وتبدلت.

والمُنتَظر –بناء على ما عرضه القرطاجني حول قيمة مقصورته وما تحمله من مقاصد وغايات– أن ينكب المخاطب على قراءتها؛ ليفيد مما تضمنته من معارف وأخبار، ويستمتع بأنسها وجمالها، ويسلي نفسه بما تقصه من مواقف وأحداث.

ثم يختم القرطاجني بنية عرض مقدمته بما يربط المخاطبين بموضوع المتن، ويؤكد قيمته الجمالية، فيذكر أنه لولا ما تحلّى به الممدوح من كرم وفضل ونعمة وإحسان لما تجشم فكره مشقة اجتلاب درر المعاني ولآلي الألفاظ بالغوص في بحار الشعر حتى خرجت مقصورته فريدة في نظمها، تجاوز عدد أبياتها الألوف، "**فَلَوْلا اجْتِلاءُ غُرَرِ الكَرَمِ**

---

[١] مقدمة المقصورة، ص (١٧).

[٢] السابق، ص (١٨).

مِن مِنَحِهِ وأَيَادِيهِ...، ما تَجَشَّمَتِ الأفكارُ اجتلابَ الدُّرَرِ الأبْكارِ بالغوصِ في بحارِ الشعرِ العظمَى، ولا ابْتَدَعت من فرائِدِها نظمًا، تجاوزتُ فيها حدَّ المُعْتَادِ المَألوفِ إلى عِدادِ الألوفِ[1]"، ويبالغ في تأكيد مكانة ممدوحه وآله من بني حفص، فيذكر أن جميع ما يمدحون به من درر النظم لا يساوي إلا نقطة من حياضهم، أو زهرة من رياضهم، "**هذا على عِلْمي بأنَّ جميعَ ما يُخْدَمُ به مَقامُهُم العظيمُ من دُرَرِ اللفظِ النظيمِ، إنما هو نقطةٌ من حياضِهِم، وزهْرةٌ من رياضِهِم**[2]".

ويتضح –في ضوء ما سبق عرضه– حرص القرطاجني على إقامة الحجج المؤكدة لأهمية عمله وما انماز به عما سواه، فتراه يجتهد في إقناع المخاطب بالقيمة الجمالية والأدبية للمقصورة؛ إذ تتصف بالثراء والتنوع والشمول من خلال ما تضمنته من معانٍ وأغراض عدة تتصل بالمدح والغزل والحكمة والوصف والوعظ والقص والتحسر والتعجب...، وكأن القرطاجني أراد أن يتوصل المخاطب إلى نتيجة معينة مفادها: إن عملًا هذا قدره وتلك قيمته لهو حري بالإقبال عليه، والتوجه نحوه بالقراءة والتأمل والفحص.

بنية الخاتمة:

وعى البلاغيون قيمة الخاتمة الخطابية، وأثرها التواصلي التأثيري، سواء أكان النص شعرًا أم نثرًا؛ إذ إنها آخر ما يعلق في أذهان المخاطبين، فضلًا عما تحققه من ترابط نصي بين بدء النص وختامه، فيقول أبو هلال العسكري: "ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت إليه[3]". ويؤكد ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤هـ) ضرورة "أن يختم الشاعر والناثر كلامهما بأحسن خاتمة؛ لأنها آخر ما يعلق في الأسماع، وربما حفظت دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها[4]".

---

(1) مقدمة المقصورة، ص (١٨-١٩).

(2) السابق، ص (١٩).

(3) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، ص (٤٤٣).

(4) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص (٦١٦).

ومن ثم وعى القرطاجنى أهمية الخاتمة ووظيفتها التواصلية، فاختتم مقدمته بما يشير إلى مقاصد المتن وغاياته المتعلقة بأن تنال قصيدته الرضا والاستحسان من الممدوح وآله من بني حفص، فإن تحقق لها هذا القصد فقد تمت لها النعماء وكملت، وبلغت من الشرف والفخر جميع ما أملته، "**فَإِنْ حَلَّتْ مِن نَظَرِهم الجميلِ محلَ الارْتِضَا...، فقد تَمَّتْ النَّعْمَاءُ لَهَا وكَمُلَتْ وبَلَغَت من التشريفِ والفخرِ التَّالدِ والطَّريفِ جميعَ ما أَمَّلَتْ**[١]".

وأنهى الخاتمة بالدعاء للممدوح وآله بأن ينصرهم الله ويؤيدهم بجنوده، وأن تتسع دعوتهم؛ لتحيط بالأرض إحاطة النطاق بخصره، والعقد بجيده، "**سخَّرَ اللهُ لهم جُنُودَ نَصْرِهِ وتَأْيِيدِهِ، وجعلَ دَعْوَتَهُم محيطةً بالبسيطةِ إحاطةَ النطاقِ بخصرهِ والعِقْدِ بجيدِهِ**[٢]".

وتدفع بنية الخاتمة هنا أذهان المخاطبين إلى التفاعل مع المتن، واستيعاب مقاصده ومضامينه؛ إذ تعبر عما يكنه القرطاجني لممدوحه وآله من مشاعر حب وتقدير واعتزاز. كما تحيل إلى أمنيته التي أمل أن تتحقق بعد أن تنال المقصورة الرضا والاستحسان من الممدوح وآله، وتتحدد في أن تحرر الدولة الحفصية الأندلس، وتعيدها إلى أهلها، وقد أشار القرطاجني في متن المقصورة إلى هذه الأمنية، قائلًا:

ولَو سَمَـــا خليفـــةُ اللهِ لهـــا ... لافْتَكَّهَـــا بالسيفِ مِنْهُـــم وافْتَدَى
فَفِي ضَـــمَـانِ سَـــعْدِهِ مِنْ فَتْحِهَا ... دَيْنٌ عَلَى طَرْفِ العَوَالِي يُقْتَضَـــى
فَقَـدْ أَشَـــادَتْ أَلْسُـــنُ الحَـالِ بِـهِ ... حَـــيَّ عَلَى اسْتِفْتَاحِهَـــا حَيَّ عَلَـــى

وهكذا تتعالق بنية خطاب المقدمة مع بنية خطاب المتن دلاليًّا وإيحائيًّا، فعلى المستوى الدلالي تؤكد قيمة المقصورة وأهميتها من خلال ما اتسمت به من الإحكام والجودة في الصناعة الشعرية، وما احتوت عليه من معانٍ وأغراض ومقاصد وفنون. وعلى المستوى الإيحائي تعكس ما أراد القرطاجني تحقيقه من مقاصد خطابية تتعلق بالمخاطب العام؛ إذ تستميله نحو قراءة المتن والتفاعل معه، ومقاصد أخرى تتعلق بالمخاطب الخاص (الممدوح)؛ إذ تستميله بغية استنهاض همته للتحرك نحو تحرير الأندلس.

---

[١] مقدمة المقصورة، ص (١٩).

[٢] السابق، ص (١٩).

المبحث الثاني

الآليات اللغوية

لم تعد وظيفة اللغة منحصرة في مجرد نقل الوقائع أو وصفها، بل تعدت ذلك لتؤدي وظائف عدة، تتمثل في الوظيفة التواصلية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإحالية، والوظيفة التأثيرية (الحجاجية الإقناعية)...، وهذا ما دفع صاحبَيْ نظرية الحجاج في اللغة أزوالد ديكرو Oswald ducrot وجون – كلود أنسكومبر J.C. Anscombre إلى القول بأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فالحجاج كامن في بنيتها، وحاضر في مستوياتها المعجمية والتركيبية والصرفية، "وهذا يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال أو الملفوظات الكلامية فحسب، ولكنها محددة أيضًا بواسطة بنية هذه الملفوظات نفسها، وبواسطة المكونات اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها[1]".

وقد تنبّه علماؤنا العرب القدامى إلى ما تؤديه المكونات اللغوية من دور رئيس في إنتاج المعنى المقصود؛ ابتغاء إتمام العملية التخاطبية؛ إذ يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) محددًا مراده من النظم: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو...، وذلك أنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه...، ينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ (ما) في نفي الحال، وبلا إذا أراد نفي الاستقبال...، ثم يعرف موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكن) من موضع (بل)[2]".

---

[1] اللغة والحجاج. د/أبو بكر العزاوي، ط (١) العمدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص (١٦ – ١٧).

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١ المدني ١٩٩١م، ص (٨١-٨٢).

وتتحدد هذه المكونات اللغوية في صنفين: الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، أما الروابط فتمثل وحدات مورفولوجية تربط بين ملفوظين (حجتين) أو أكثر في إطار إستراتيجية واحدة[١]". فتقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين، وبالتالي فهي موصلات تداولية، تعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي؛ لتجعل منها أفعالًا لغوية، تحمل عليها[٢]"، وتتمثل هذه الروابط في عدد من العناصر النحوية والظروف، مثل: (لأن، الواو، الفاء، حتى، لكن، إذ، إذن، ...).

أما العوامل الحجاجية فهي وحدات مورفولوجية لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة، ولكنها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية لقول ما وتقييدها[٣]، فتقوم بتحويل الطاقة الكلامية للملفوظ؛ إذ تنقلها من مستوى الإخبار أو الإبلاغ إلى مستوى الحجاج. وتتحدد هذه العوامل في عدد من الأدوات، منها: مازال، كاد، قليلا، كثيرا، ما وإلا، وجلّ أدوات القصر.

ويبرز دور هذه المكونات اللغوية (الروابط والعوامل) في توجيه الخطاب وجهة حجاجية محددة يرومها المرسل، استنادًا إلى مواضع معينة، تواضع عليها المخاطبون المقصودون بالمحاجة؛ وذلك بغية تحقيق نجاعة الخطاب التواصلية التأثيرية.

وسيقتصر البحث على دراسة الروابط والعوامل التي تواتر حضورها في مقدمة القرطاجني؛ ذلك أن اختيار المرسل لأدوات لغوية دون غيرها يؤكد ملاءمتها لسياق خطابه، فالعملية الحجاجية تقوم على "ترجيح من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانات لغوية إلى أخرى، يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين[٤]".

---

[١] اللغة والحجاج. ص (٣٣).

[٢] الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، د/ الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، عدد ١، مجلد ٣٤، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٥م، ص (٢٣٤).

[٣] اللغة والحجاج، ص (٣٣).

[٤] إستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م، ص (٤٨٤).

أولًا– الروابط الحجاجية[١]:

يتجلى دور الروابط الحجاجية في الربط بين ملفوظين كلاميين؛ بغية الوصول إلى النتيجة المستهدفة من الخطاب، وهذا ما يؤكد أن الحدث الكلامي امتداد لقصدية المتكلم. فيلاحظ المتأمل لخطاب القرطاجني التقديمي أنه عمد في تشكيل بنيته الحجاجية إلى توظيف عدد من الروابط اللغوية التي أسهمت بدورها في إيصال أفكاره وآرائه إلى المتلقين، ومن ثم توجيه خطابه الوجهة الحجاجية الإقناعية التي يبتغيها، فتجده يوظف رابط (الواو) الذي يؤدي وظيفتين حجاجيتين؛ الأولى تتحدد في الجمع بين الحجج ورصفها وربط المعاني، والثانية تتعلق بتقوية هذه الحجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض وتقوية كل منها بالأخرى[٢]؛ وذلك من أجل تحقيق الاقتناع بالنتيجة المبتغاة. فيربط بالواو، قائلًا: "**أَشْرَقَتْ إِشْرَاقَ الصَّبَاحِ فَضَائِلُهُ، وتَدَفَّقَتْ تَدَفُّقَ السَّحَابِ أَنَامِلُهُ، وانْقَسَمَتْ بَيْنَ نَفْعِ العُفَاةِ وضَرِّ العُدَاةِ شَمَائِلُهُ، ووَسِعَتْ أَرْبَابَ النُّهَى وطلَّاب اللُّهَى نَوَافِلُهُ**[٣]". ويقول في موضع آخر موظفًا الرابط نفسه: "**مَلَأَتْ أَيَادِيهِ الدُّنْيَا مِن أَمْنٍ وإِيمَانٍ، وحُسْنٍ وإِحْسَانٍ، وعَدْلٍ وقِسْطٍ، وقَبَضَتْ يَدُهُ أَرْوَاحَ العُدَاةِ بالقَبْضِ على الظُّبَاتِ، وبَسَطَتْ آمَالَ العُفَاةِ بالقِسْطِ...**[٤]".

ويبرز هنا دور الرابط الحجاجي (الواو) في الوصل بين مجموعة من الحجج المتسقة الداعمة لآراء القرطاجني وأفكاره المتعلقة بالكشف عن فضائل ممدوحه وحسن سيرته؛ إذ أفاض على رعيته بالخيرات، فعم فضله أرباب العقول من العلماء والأدباء، وطلاب النوال من عامة السائلين، وأصاب الضر أعداءه، فضلًا عن حرصه على حفظ الأمن ونشر الإيمان وإقامة العدل.

---

[١] أدرج بعض الباحثين الروابط ضمن العوامل؛ إذ إنها تشترك معها في الهدف العام، ويتحدد في كونها عناصر لسانية تعطي للملفوظ الكلامي بعده الحجاجي؛ استنادًا إلى المواضع الحجاجية المشتركة. وقد آثرت الفصل بينهما؛ لاختلاف طبيعة عملهما كما سيتضح في البحث.

[٢] الروابط الحجاجية في سورة القلم، دراسة في التداولية المدمجة، د/ رحيم مجيد راضي، مجلة أوراق بحثية، عدد ١٩، ٢٠٢٢م.

[٣] مقدمة المقصورة، ص (١٣).

[٤] مقدمة المقصورة، ص (١٥).

وبذلك أسهم الربط الحجاجي بالواو في وصل الحجج وتتابعها؛ لتدعيم النتيجة المتمثلة في إثبات استحقاق الممدوح للمدح والثناء؛ وفقًا لما طرحه القرطاجني في متن المقصورة، واستنادًا إلى الصفات المثلى الواجب توافرها في أي راع مسؤول عن تدبير شؤون رعيته، وتعهدهم بالعناية والاهتمام، فلا بد أن يتصف بالجود والإحسان، والعدل والإيمان... وهذا مما يؤثر في نفوس المخاطبين، ويربطهم بالمتن، ويدفعهم إلى الاقتناع بما ورد فيه من أفكار ورؤى تتصل بفضائل الممدوح ومسيرته العادلة.

ويتضح –كذلك– دور الرابط الحجاجي (الواو) في وصل الحجج الداعمة لآراء القرطاجني وأفكاره المتصلة بإثبات قيمة المتن الجمالية والدلالية والمعرفية؛ تحقيقًا لانجذاب المخاطبين، ودفعهم نحو الإقبال على المتن والتفاعل معه، ذلك أن "سلوك الأفراد إزاء الخطاب مرهون بحجة صاحبه[١]" يتضح ذلك في قوله: "**فَهَي أُمُّ القَصَائِدِ، ووسْطَى القلائدِ، تُطْلِقُ الأَلْسِنَةَ، وتُوقِظ القلوبَ الوَسِنةَ، وتُؤنِسُ وتُسَلِّي، وتُغْلِي قَدْرَ حافِظِهَا وتُغَلِّي**[٢]".

قام الرابط الحجاجي هنا بالوصل بين مجموعة من الحجج المتساندة ورصفها، فجاءت الحجج مترابطة غير منفصلة، تساند كل حجة سابقتها وتقويها؛ بغرض تدعيم النتيجة المتوخاة من الخطاب، وتوجيه المخاطب بالملفوظ نحو التسليم والتصديق بها، وتتحدد في إثبات قيمة المتن الجمالية والدلالية، فالمقصورة –كما طرح المرسل– أصل القصائد وعمادها، تتصف بالجودة وعلو القيمة، توقظ القلوب الوسنة من غفلتها بما تعرضه من مواعظ وحكم، كما أنها تؤنس النفوس وتسليها بما تقصه من عجائب الأخبار، وتعلي قدر حافظها وتغلي قيمته بما يفيده منها من معارف شتى. وبذلك تتساند هذه الحجج الموصولة بالواو؛ ليدعم بعضها بعضًا في اتجاه حجاجي واحد يدفع المخاطبين إلى الاقتناع بأهمية المتن وقيمته، ومن ثم يتوجهون نحوه بالقراءة والفهم والتأمل، ذلك أن الواو تعمل على الربط النسقي أفقيًّا على عكس السلم الحجاجي، ويمكن التمثيل لهذا حجاجيًّا عبر المسار الآتي:

---

[١] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتن، ط ١منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ٢٠٠٨، ص (١٢).

[٢] مقدمة المقصورة، ص (١٨).

ح١	الواو ←	ح٢	الواو ←	ح٣	الواو ←	ح٤	الواو ←	ح٥	ن
أُمُّ القَصَائِدِ		وسْطَى القلائدِ		تُوقِظ القلوبَ الوَسِنةَ		تؤنِسُ وتُسَلِّي		تُغْلِي قَدْرَ حافِظِهَا وتُغَلِّي	لهذه القصيدة قيمة جمالية ودلالية

وفي ضوء هذه النتيجة التي يتوخاها المرسل من وراء خطابه التقديمي، تتحقق الغاية التواصلية التأثيرية المتمثلة في إقناع المخاطبين بقيمة المتن، وتوجيههم نحو قراءته والتفاعل معه.

كما يستعين القرطاجني بالمكونات اللغوية التي تربط الحجج بالنتائج المفضية إليها في سياق تدعيم حججه المتصلة بالكشف عن مكانة ممدوحه، وصفاته المثلى، فيقول موظفًا خاصية الربط الحجاجي بالفاء: "**مَلِكٌ تَحَلَّى مِنْ كَرِيمِ الخِلالِ وعَظِيمِ الجَلالِ مَا تَحَلَّى؛ فَعَاذَ بِهِ فِي أُفْقِ الخلافةِ وتَجَلَّى، واسْتَقَرَ فَوْقَ سَرِيرِ مُلْكِهِ، فَانْحَطَ كُلُّ مَلِكٍ عَن سَرِيرِهِ وتَخَلَّى. بَهَرَ أَمْلَاكَ الأُمَمِ والعَوَالِمِ سِبَاقًا وخَصْلًا فَمَا جَلَّى سَابِقٌ كَمَا جَلَّى، ونَوَّرَ أَحْلاكِ الظُّلَمِ والمَظَالِمِ إِشْرَاقًا وعَدْلًا، فَمَا جَلَّى شَارِقٌ كَمَا جَلَّى، وصَيَّرَ الأَهِلَّةَ مِن الأكلَّةِ والرماح من القِدَاحِ، فأَحْرَزَ جَبِينُهُ ويَمِينُهُ التَّاجَ المُحَلَّى والقِدْحَ المُعَلَّى**[1]".

عمد مرسل الخطاب هنا إلى استدعاء الرابط الحجاجي (الفاء) بوصفه مؤشرًا لغويًّا يربط الحجة بالنتيجة، فضلًا عن دوره في تحقيق انسجام الخطاب واتساقه، فتجده يربط بالفاء خمس حجج بخمس نتائج مؤدية إليها، تتحدد على النحو الآتي:

ح ١: بيان ما تحلى به الممدوح من كريم الخلال وعظيم السلطان	الرابط (الفاء) ←	ن: اجتمعت عنده صفات الخلافة المثلى وفضائلها العليا
ح٢: بيان عزة سلطان الممدوح	←	ن: تخلي كل ملك عن سلطانه وانحطاط منزلته أمام سلطان الممدوح
ح٣: غلب الممدوح أملاك الأمم والعوالم	←	ن: تفرده في غلبته وسبقه عن غيره.
ح٤: أقام الممدوح العدل ودفع الظلم عن رعيته	←	ن: تفرده في إقامة العدل عمن سواه من الملوك.
ح٥: اتخذ الهلال من تيجانه، والرماح كقداح الميسر	←	ن: فاز جبينه ويمينه بالتاج المحلى والقدح المعلى.

[1] مقدمة المقصورة، ص (١٤).

وقد عمد القرطاجني هنا إلى تعزيز حجته المتعلقة ببيان ما تحلى به الممدوح من كريم الخلال وعظيم السلطان عن طريق الإبهام باستعمال "ما" الموصولة في قوله: "**مَلِكٌ تَحَلَّى مِنْ كَرِيمِ الخِلالِ وعَظِيمِ الجَلالِ مَا تَحَلَّى**"، قصدًا إلى التفخيم والتعظيم؛ ليعمل السامع خاطره في استحضار ما يتوقع أن يتحلى به هذا الممدوح من صفات كريمة ومكانة عظيمة. ويندرج هذا الأسلوب ضمن ما يسميه البلاغيون بالإشارة أو الإيماء، وتتحدد قيمته الإقناعية التأثيرية في أن "له موقعًا عظيمًا في نفوس المخاطبين لا يكون مع الإيضاح والتفسير؛ لأن السامع إذا أبهمت عليه الأمر لم يسنح له خاطر في تكييف الحال التي أُبهِمت صفتها عليه إلا توقع أن يكون قد غاب عنه ما هو أعظم مما كيّف، وهو إذا كشف له المتكلم عن الصفة، ركنت نفسه إلى ما يوصف، فلم يرتق به الوهم إلى غير الحد الذي وقعت الصفة عليه"[١].

وبذلك أسهم توظيف الربط الحجاجي في تحقيق هدف الخطاب، ويتعلق بإثبات نتيجة محددة، يستند فيها المرسل إلى ما أسماه الحجاجيون بالموضع الحجاجي، ويتحدد في مجموع الأفكار والمعتقدات والمبادئ العامة التي يشترك جمهور المخاطبين في قبولها والتسليم بصحتها، "فالمواضع دعامة رئيسة تؤكد حجاجية الملفوظ الكلامي بما توفره من قيمة استدلالية مرجعية...، ودونها لا يمكن للخطاب أن يكتسب أي شرعية عند الجمهور[٢]"، وتتمثل هذه النتيجة في بيان استحقاق المستنصر للمدح والثناء وفقًا لما ورد في المتن، ذلك أن ما طرحه المرسل عن صفات ممدوحه من القوة والعزة، والفضل والإحسان، والعدل والإنصاف مما يقبله جمهور المخاطبين، ويقرون بأفضليته ومثاليته المؤكدة لنجاح صاحبها في أداء مهمته المتصلة بتعهد رعيته بالعناية والرعاية والاهتمام.

وعلى المنوال نفسه يستدعي القرطاجني الرابط (الفاء)، في سبيل توجيه خطابه الوجهة الحجاجية الإقناعية التي يرومها، فيقول في سياق الكشف عن القيمة الجمالية والبيانية للمقصورة: "**وقَدْ تَحَلَّت بِعُقُودٍ مِن كلّ لفظٍ بالقلوبِ مَعْقُودٍ، وتَجَلَّت في سُمُوطٍ من كلّ مَعْنًى**

---

[١] رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، السبتي، ص (٣٢٨).

[٢] العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، صفاقس/ تونس، ط١ ٢٠١١م، ص (٨١ – ٨٢).

بالنفوسِ مَنُوطٍ. وَغَاصَ الخاطرُ في بحرِ الأغراضِ على دُرَرٍ أَصْدَافُهَا جَوَاهِرُ...، فانتَظَمَ عِقْدُهَا من اللؤلؤ المَكْنُون"[1]، فيربط المرسل هنا الحجج المبيّنة لسمات المتن بالنتيجة المترتبة عليها، وتتصل هذه الحجج ببيان ائتلاف ألفاظ المتن مع معانيه؛ تحقيقًا لما يستلزمه السياق من أغراض ومقاصد.

ويأتي دور الرابط (الفاء) هنا في إقامة علاقة استنتاجية؛ إذ يربط الحجة بالنتيجة، فيدرج المرسل بعد الرابط النتيجة المترتبة على ما طرحه من حجج قبله، وتتمثل هذه النتيجة في انتظام عناصر المتن وترابطها كالعقد المنظوم. وتستلزم هذه النتيجة الظاهرة نتيجة أخرى مضمرة يستهدفها الخطاب، وتتحدد في أن نصًّا تنتظم أجزاؤه وتتلاحم عناصره؛ لتعبر عما يحمله من مقاصد وغايات لهو حري بالقراءة والتأمل والفحص. وبذلك أفاد توظيف الرابط اللغوي (الفاء) في توجيه المخاطبين نحو الاقتناع بقيمة المتن والإقبال عليه والتفاعل معه.

ويستند المرسل في هذا السياق الحجاجي لما تقره سلطة التوجه النقدي المؤكدة لضرورة ائتلاف الألفاظ والمعاني؛ تبعًا لما يستلزمه الغرض والمقام، فيقول عبد القاهر الجرجاني مؤكدًا تبعية الألفاظ للمعاني: "إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولًا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون أولًا في النطق"[2].

كما استدعى مرسل الخطاب الرابط اللغوي (حتى) بوصفه مؤشرًا حجاجيًّا، يستهدف دعم حجج المرسل وتقويتها في أذهان المخاطبين؛ تحقيقًا لمقاصده الخطابية. ولا تتحقق وظيفة هذا الرابط الحجاجية إلا بتوافر ثلاثة شروط:

أولها: أن يشكل القسم الأول من الكلام الذي يسبق الرابط (حتى) حجة تخدم نتيجة معينة.

ثانيها: أن الحجة السابقة لـ (حتى) واللاحقة تشتركان في الوجهة الحجاجية، أي أنهما تخدمان النتيجة نفسها.

---

[1] مقدمة المقصورة، ص (١٥ -١٦).

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص (٥٢).

ثالثها: أن تضيف الحجة التي تلي (حتى) طاقة حجاجية للحجة التي تسبقها[١].

وتختص هذه الأداة بالربط بين الحجج المتساندة أو المتساوقة، "فالحجج المربوطة بواسطتها ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة[٢]"، كما تعد هذه الأداة من أدوات السلم الحجاجي؛ لما تؤديه من دور في ترتيب الحجج وفق معيار القوة والضعف، فالحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى في تثبيت النتيجة، وبالتالي تقع في أعلى درجات السلم الحجاجي.

ويتضح عمل هذا الرابط فيما ذكره المرسل في معرض بيانه لقوة ملك ممدوحه؛ إذ يصف سعة جيشه وانبساط عساكره في أكناف الأرض، فيقول: "**وانْبَسَطَتْ عَسَاكرُهُ في أكنافِ البَسِيطةِ ذات الطولِ والعرضِ، حتى لقد أَذْكَرَ عَرْضَ جُنُودِهِ يَومَ العَرْضِ**[٣]"، وهنا يبرز دور هذا الرابط في نظم حجتين اثنتين متساندتين تخدمان نتيجة واحدة، تتحدد في إثبات القوة العسكرية لجيش الممدوح، ومدى استعداده الكامل لمواجهة أعدائه، ولكن الحجة الواردة بعد الرابط (حتى) كانت الأقوى في تثبيت هذه النتيجة وتدعيمها، ذلك أن ما بعد (حتى) يكون "بمنزلة آخر حجة يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة[٤]".

ومن ثم أدرج المرسل –بعد الرابط (حتى)– حجة تكشف عن مقدار سعة جيش الممدوح، وأتت هذه الحجة مؤكدة بمؤكدين اللام وقد؛ قصدًا إلى إقناع المخاطب ودفعه إلى التسليم والإذعان للطرح المقدم، فأشار إلى أن عرض جنوده يذكّر من يشاهده بيوم عرض الخلائق على ربهم، من جهة الكثرة العددية.

وقد أفاد توظيف خاصية الربط الحجاجي هنا في ربط أذهان المخاطبين بمضمون المتن ومقاصده المتعلقة باستنهاض همة الممدوح؛ لتحرير الأندلس وتخليصها من أيدي

---

(١) الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، د/ سامية الدريدي، ص (٣٣٥).

(٢) اللغة والحجاج، ص (٧٣).

(٣) مقدمة المقصورة، ص (١٥).

(٤) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص (٨٩).

الأعداء؛ إذ أفرد القرطاجني خمسة وستين بيتًا من المتن لوصف جيش المستنصر من الأبيات المائة والاثنين والعشرين التي مدحه بها في صدر مقصورته؛ وذلك حثًّا له نحو التحرك بجيوشه إلى الأندلس، واستنهاضًا لهمته، فيقول في بيان سعة جيشه وقوته:

جَيْشٌ جُيُوشُ الرُّعبِ مِن قُدَّامِهِ تَسْرِي وتَغْزو قَبْلَهُ مَن قد غَزَا
تَرَاه كالبحرِ المُحيطِ كُلَّمَا زَعْزَعَهُ عَصْفُ الرِّياحِ وزَفَى
أَلْقَت تَوالِي خَيْلِهِ أَعْرَافَهَا من فوق أَصْلاءِ الهوادِي والعُكَى[1]

ويمارس القرطاجني فعل الحجاج بوصفه فعلًا لغويًّا تداوليًّا يستهدف الإقناع باستخدام الرابط الحجاجي (على أنَّ) وهو من الروابط التي تدرج الحجج المتعارضة؛ إذ تقوم بواسطته علاقة التعارض الحجاجي بين ملفوظين كلاميين.

ويتضح الدور الحجاجي لهذا الرابط في خطاب القرطاجني فيما عرضه في سياق بيانه لقيمة المقصورة الأدبية، وإن لم توف الممدوح وآله حقهم؛ إذ يقول: "**فَلَيْسَتْ –وإنْ طَالَ فيها القولُ– تحيط بأدْنَى مَا لَهم من الطَّوْلِ، عَلَى أنَّها تفوقُ القصائدَ طولًا، وتَفْرعها باليدِ الطُّولَى، وتَفْضُلُهَا بِفَضلِ الحضرةِ العليا التي خَدَمَتْهَا، وتتقدَّمُ بذلك جميعَ القصائدِ التي تَقَدَّمَتْهَا، فَهي أُم القصائدِ ووسْطَى القلائدِ...**[2]".

أقام الرابط اللغوي (على أنَّ) علاقة تعارض حجاجي بين ما تقدمه وما تلاه من حجج؛ إذ إن هناك تعارضًا حجاجيًّا قائمًا بين نفي إحاطة المقصورة بغرضها الرئيس إحاطة كاملة –على الرغم من طولها– وبين تميزها عن غيرها من القصائد؛ طولًا وشمولًا وجودة.

ومن ثمَّ يؤكد القرطاجني قيمة مقصورته الأدبية عبر إقامة علاقة تعارض حجاجي باستعمال الرابط (على أنَّ)، فنلاحظ أن ما تقدم الرابط يخدم نتيجة من قبيل: إذًا تضعف قيمة المقصورة الأدبية؛ وفقًا لمعيار استيفاء المعنى المقصود أو الغرض، فلم تحط

---

[1] المقصورة، ص (٣٢).

[2] مقدمة المقصورة، ص (١٨).

المقصورة بغرضها الرئيس إحاطة كاملة على الرغم من طولها. وما تلا الرابط يخدم النتيجة المضادة، وتتحدد في تفرد المقصورة وتميزها عن غيرها من القصائد من جهة الطول الدال على الشمول والإحاطة بالغرض المقصود، فضلًا عن جودتها وإحكام صياغتها، فهي أم القصائد ووسطى القلائد. ومن هنا تتضح كفاءة المرسل التداولية؛ إذ يحرص –باستعمال هذا الرابط– على إبعاد اللبس عن السامع؛ ليدفع أي توهم خاطئ قد يرد في ذهنه حول قيمة المقصورة ومكانتها الأدبية.

ويستند المرسل كذلك في هذا السياق الحجاجي إلى سلطته النقدية التي تمكنه من إصدار حكم نقدي يؤكد تفرد مقصورته وتميزها عن غيرها من القصائد، وكأنه يسعى من وراء خطابه إلى مصادرة الانتقادات الأدبية التي قد تمس المتن.

ثانيًا– العوامل الحجاجية:

تسهم العوامل الحجاجية في توجيه الخطاب الوجهة الحجاجية الإقناعية التي يرومها المرسل؛ فتؤدي وظيفة خطابية محددة، تتمثل في حصر الإمكانات التأويلية التي تكون لملفوظ معين في مقام تخاطبي محدد، وتقييدها؛ بغية الوصول إلى النتيجة المتوخاة من الخطاب؛ وذلك بالاستناد إلى مواضع معينة تواضع عليها المخاطبون المقصودون بالمحاجة وأقروا بصحتها، ومن ثم يتحقق الإذعان والتسليم والتصديق في النفوس. وتتحدد هذه العوامل في أدوات النفي والقصر والاستثناء والشرط والجزاء.

ومن العوامل التي استعان بها القرطاجني في تشكيل بنية خطابه الحجاجية، عامل النفي؛ إذ يحقق وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إقناع المخاطب وتسليمه من خلال توجيهه بالملفوظ نحو النتيجة المستهدفة؛ إذ يقع النفي في "مستوى الرد على الرأي المعاكس الذي صاغه المتقبل صياغة إثباتية تتعارض مع الصياغة المنفية[١]"، وهنا يبرز الدور الحجاجي لعامل النفي في كونه بمنزلة "رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من الغير[٢]".

---

[١] العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص (٥٢).

[٢] في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د/ عبد الله صولة، ص (٣٧).

كما يتضح البعد التداولي لاستدعاء عامل النفي في بنية الخطاب؛ إذ يؤكد مراعاة المرسل للحالة الذهنية للمرسل إليه الذي يشك أو ينكر فكرة معينة؛ فيحرص المرسل باستخدام عامل النفي على دفع هذا الشك أو الإنكار وإزالته من ذهنه.

وتتجلى الوظيفة الحجاجية لعامل النفي في مقدمة القرطاجني فيما ذكره في سياق تأكيد ما طرحه في متن المقصورة حول أفضال ممدوحه وجهوده الطيبة؛ إذ يقول في المقطوعة الشعرية التي ضمنها مقدمته النثرية:

فالدَّهـــــــرُ ليـــــــسَ فيه أَسْـــعَـــدُ مـــن زمـــانِـــهِ
والأرضُ لـــيـــسَ فـــيـــهـــا أخْصَـــبُ مـــن مَـــكَـــانِـــهِ

أسهم عامل النفي بليس هنا في دفع أي توهم أو اعتراض يفترض المرسل أن يرد في أذهان المخاطبين حول ما ورد في متن المقصورة من معانٍ وأفكار تتعلق بما بذله المستنصر من جهود طيبة، أسهمت في ازدهار دولته واستقرارها، فكان زمانه أسعد زمان، وكانت أرضه أخصب مكان. وهنا يربط القرطاجني المخاطبين بعالم المتن، فيؤكد باستعمال عامل النفي ما طرحه في مقصورته؛ ليدفعهم إلى التسليم والتصديق به، ومن ثم يستميلهم نحو قراءته والتفاعل معه؛ إذ يذكر في متنه ما شيد المستنصر من قصور ومنشآت، فكانت تونس عاصمة الدولة الحفصية أم البلاد في عهده:

حَضْـــرَتُـــهُ أُمُّ البـــلادِ كُلُّهَـــا وَقُطْـبُ مَـا منهـا دَنَـا ومَـا قَصَـــا
إنْ ذُكِرَتْ مُـدْنُ الـدُّنَى فَـهي التـي يُخْتَتَمُ الفَخْـــرُ بِهَـــا ويُبْتَـــدَا
وانْسَـــابَ في قَصْـــرِ أبي فِهْرِ الذي بكُـــــــلِّ قَصْـرٍ في الجمالِ قَدْ زَرَا
قَصْـــــرٌ تَرَاءى بَيْنَ بَحْـــرٍ سَلْسَلٍ وسَـــجْسَـــجٍ من الظِّلالِ قَدْ ضَـــفَا[1]

كما يذكر ما أنفق المستنصر في سبيل وصول المياه إلى تونس من جبل زغوان، فعم الخير والخصب والنماء أقطار دولته:

حلَّ البَرَايَـــــا من ذَرَاكَ جَنَّـــــةً بكوثرِ الإحْسَـانِ فيها يُرْتَـــــــوَى
أَجْرَيْـت من عَيْنٍ ومن عينٍ بهـا نَـهْرَين قَـدْ عَمَّـا البَـرَايَـا والبَـرَى

[1] ينظر المقصورة، ص (٢٦- ٢٩).

وكوثَرَي مـــالٍ ومـــــاءٍ فيهمـــــــا لـــلـــخـــلـــقِ والأرضِ ثَـــرَاءٌ وثَـــرَى
وطَوْدَ زَعْوَانَ دَعَـــــــوْتَ مـــــاءَهُ فَلَم يَزِغْ عن طاعةٍ ولا وَنَـــــــــــى
ونَفَثَ الفضـةَ ذَوْبًـــــــا وغَـــــدَا يَخُطُّ مَا كَانَ الزمـــــــانُ قَدْ مَحَـــا
كـأن بِـهِ قـد ســـاحَ وَسْـــطَ تُونُس وصَـــاحَ بـالنـاسِ ردُّوا مـاءَ النَّـدَى[١]

وبذلك شكّل عامل النفي دافعًا ومحفزًا لإقناع المخاطبين من خلال توجيههم بالملفوظ الكلامي نحو النتيجة المستهدفة، وتتحدد في تقرير مضمون المتن المتعلق باستحقاق المستنصر للثناء والشكر؛ استنادًا إلى الصفات المثلى الواجب توافرها في كل راع متعهد لرعيته وبلاده بالعناية والاهتمام.

ويستدعي مرسل الخطاب عامل القصر (بإنما) بوصفه عاملا حجاجيًّا ينقل الملفوظ الكلامي من مستوى الإخبار إلى مستوى الحجاج؛ إذ يسهم في توجيه المخاطب بالملفوظ نحو النتيجة المبتغاة. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى القيمة البلاغية الحجاجية للقصر بإنما؛ إذ يقول: "اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمر[٢]"، وهذا يعني أن دخول(إنما) على الجملة يحصر المعنى ويقيده؛ إذ ينفي غيره، فيوجه الملفوظ نحو نتيجة محددة.

ويشير الجرجاني في موضع آخر إلى وظيفة حجاجية أخرى يؤديها القصر بإنما، تتعلق بتنبيه المخاطب الغافل عن أمر معين، لا يجهله ولا يدفع صحته، فتسهم في تعديل موقفه؛ إذ يقول: "اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، وتفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه في حق الأخ وحرمة الصاحب[٣]". وهنا يتحدد

---

[١] المقصورة، ص (٢٧ – ٢٩).
[٢] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص (٣٣٥).
[٣] السابق، ص (٣٣٠).

دور (إنما) الحجاجي في تنبيه المخاطب الغافل وتوجيهه نحو الاقتناع بالنتيجة التي يرومها المرسل.

ويتبين الدور الحجاجي لعامل القصر بإنما في مقدمة القرطاجني؛ إذ يقول: "**هذا على عِلْمي بأنَّ جميعَ ما يُخْدَمُ به مَقامُهُم العظيمُ من دُرَرِ اللفظِ النظيمِ، إنما هو نقطةٌ من حياضِهِم، وزهْرةٌ من رياضِهِم، فلا مناسبةَ بين الحَصَى والدُّرِّ، ولا مُشَاكلةَ بين البُهْمِ والغُرِّ**[1]"، فأفاد دخول العامل الحجاجي هنا في حصر جميع ما يُمدح به المستنصر وآله من بديع النظم في مقدار ضئيل مما يستحقونه، فما هو إلا نقطة من فيض عطائهم، وزهرة من رياض فضلهم.

وبذلك أفاد القصر بإنما في تقوية النتيجة المستهدفة وتدعيمها وتثبيتها في نفوس المخاطبين عن طريق حصرها وتقييدها في اتجاه حجاجي واحد، يتمثل في إبراز عطاء الممدوح وآله وكرمهم المستلزم للمدح والثناء؛ وفقًا للطرح المقدم في متن المقصورة. وهنا يستند القرطاجني إلى الأفكار والمبادئ العامة التي يشترك جمهور المخاطبين في قبولها والتسليم بصحتها، فالكرم والعطاء والفضل من القيم النبيلة والأخلاق الأصيلة التي يتحلى بها كل راع مسؤول عن رعيته.

كما عمد المرسل هنا إلى تعضيد المسار الحجاجي المؤكد لأحقية المستنصر للمدح والثناء، وفقًا لما ورد في متن المقصورة، بتقديم صورة استدلالية تمثيلية؛ توضح مقدار عطاء هذا الممدوح وآله وفضلهم الذي لا يوازيه شكر أو ثناء، فبيّن الفرق بين هذا العطاء الجزيل، وما يمدحون به من درر الألفاظ ولآلي المعاني بالفرق بين الحصى والدر؛ دلالة على علو القيمة، والفرق بين الفرس البهيم أو المصمت الذي لا يخالط لونه غيره[2]، والفرس الأغر الذي يعلو البياض جبهته. فلا يقع التناسب بين عطاء المستنصر وآله وما يمدحون به من بديع النظم كما لا يقع التناسب بين الحصى والدر أو البهم والغر.

---

(1) مقدمة المقصورة، ص (١٩).

(2) البُهْمَة: الصغير من أولاد الغنم، الضأن والمعز وبقر الوحش وغيرها، البهيم: ما كان لونًا واحدًا لا يخالطه غيره. فرس مُصْمَت وخيل مصمتات: إذا لم يكن فيها شِيَةٌ، وكانت بُهْمًا. ينظر لسان العرب مادة (بهم)، وصمت.

كما استعان مرسل الخطاب بعامل القصر بالنفي والاستثناء، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني اختصاص هذا العامل بإثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه؛ إذ يقول: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا رأيت شخصًا من بعيد، فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيدًا، وأنه إنسان آخر[١]". وبذلك يكسب هذا العامل الملفوظ الكلامي طاقة حجاجية تدفع أي توهم أو شك يرد في ذهن المرسل إليه بخلاف ما يقصده المرسل، فيسهم في تخصيص الملفوظ بنتيجة محددة يرومها المرسل ويستلزمها السياق.

ويتضح هذا الدور الحجاجي لعامل القصر بالنفي والاستثناء في خطاب القرطاجني؛ إذ يقول في سياق إثبات قيمة مقصورته: "**ومَا هذه القِلادةُ المَنْظُومَةُ والرَّوْضَةُ المَمْطُورةُ إلا قصيدةٌ مِنَ الرَّجَزِ غَيْرُ مَشْطُورَةٍ، عارضْتُ بها قصيدةَ أبِي بكر بن دُرَيْدٍ المقصورةَ**[٢]"، فاستعان هنا بعامل القصر بالنفي والاستثناء؛ بغية تأكيد اختصاص قصيدته المقصورة دون غيرها بما أشار إليه من صفات الاتساق والانتظام المماثل للقلادة، والجمال والبهاء المماثل للروضة الممطورة أي التي أصابها المطر، فزادها حسنًا وجمالًا.

وقد أفاد دخول العامل هنا في دفع أي شك أو توهم يرد في ذهن السامع بخلاف مقصد المتكلم؛ إذ خصص عامل القصر بالنفي والاستثناء الملفوظ الكلامي بنتيجة محددة، تتمثل في إبراز تفرد المقصورة وتميزها عن سواها من القصائد بإحكام الصياغة وبديع الصناعة، وهذا مما يحقق هدف الخطاب المتمثل في دفع المخاطبين نحو الاقتناع والتسليم بالقيمة الأدبية للمقصورة، والتي تستحق معها الإقبال عليها بالقراءة والتأمل.

ويلاحظ الفاحص لبنية خطاب القرطاجني التقديمي أنه استعان بعامل الشرط؛ بوصفه عاملا لسانيًّا حجاجيًّا إقناعيًّا يسهم في توجيه ذهن المرسل إليه نحو وجهة خطابية محددة، ذلك أن وظيفة العوامل الحجاجية تتحدد في تقييد الإمكانات التأويلية التي تكون لملفوظ معين، وحصرها في خيار واحد فحسب؛ استنادًا إلى مواضع معينة يشترك جمهور

---

[١] دلائل الإعجاز، ص (٢٥٦).

[٢] مقدمة المقصورة، ص (١٧).

المخاطبين في قبولها والتسليم بصحتها، فيأتي عامل الشرط ضمن المكونات اللغوية المحددة أو المقيدة للإمكانات الحجاجية للملفوظ الكلامي عبر إقامة علاقة تلازمية، تربط الحجة بالنتيجة المفضية إليها، وذلك وفقًا لما تواضع عليه المرسل والمرسل إليهم.

تجده يوظف عامل الشرط بلولا في قوله: "**فَلَوْلا اجْتِلاءُ غُرَرِ الكَرَمِ مِن مِنَحِهِ وأَيَادِيهِ...، ما تَجَشَّمَتِ الأفْكارُ اجتلابَ الدُّرَرِ الأبْكارِ بالغوصِ في بحارِ الشعرِ العظمَى، ولا ابْتَدَعت من فرائِدِها نظمًا**"[1]، فجاء توظيف عامل الشرط هنا؛ لتعليق النتيجة المتمثلة في تكلف الذهن مشقة استدعاء المخزون الثقافي والمعرفي (بحار الشعر)، والغوص فيه؛ بغية اجتلاب درر المعاني ولآلي الألفاظ – تعليقها على الحجة المتصلة ببيان عطاء المستنصر وحسن إكرامه وفيض نعمه؛ وذلك ليوجه المخاطبين بالملفوظ الكلامي في مسار حجاجي واحد يتعلق ببيان الدافع الرئيس لإنتاج المقصورة على ذلك النحو البديع، فلولا عطاء المستنصر وكرمه ما تكلف الفكر مشقة ابتداع فرائد النظم.

وقد أفاد استعمال القرطاجني لعامل الشرط هنا في تأكيد ما يشعر به من تقدير وامتنان لما أفاض به المستنصر عليه من أفضال وخيرات، اعترف بها في مقصورته؛ إذ يقول:

بَـلَـغْـتُ آرَابَ الـمُـنَـى فـي دَوْلَـةٍ أَوْلَـت يَـدِي أَسْـنَى الأَيَـادِي واللُّهَـا[2]

وهكذا استعان المرسل بروابط (الواو) و(الفاء) و(حتى) و(على أنَّ) في سبيل تدعيم حججه وتقويتها. كما استدعى مجموعة من العوامل الحجاجية: النفي، والقصر، والشرط؛ بغرض توجيه خطابه الوجهة الحجاجية التي يرومها.

---

[1] مقدمة المقصورة، ص (١٨).

[2] المقصورة، ص (٣٥).

المبحث الثالث

الآليات البلاغية

تهدف البلاغة إلى تحقيق غرضين رئيسين؛ يتحدد الأول في إيصال المعاني المقصودة إلى أذهان المخاطبين، ويتمثل الثاني في إحداث التأثير المنشود في نفوسهم، ومن ثم تتأكد العلاقة الوطيدة بين البلاغة والحجاج، فكلاهما ينشد التأثير في المخاطب واستمالته ودفعه إلى التسليم والتصديق والإذعان للطرح المقدم، فالحجاج "حاضن للبلاغة بكل عروضها وتجلياتها...؛ لأن جُلَّ مباحث البلاغة داخلة في الحجاج... بجامع الوظيفة التي تقوم بها في الخطاب، والغاية التي تسعى إلى تحقيقها"[١].

وقد استعان القرطاجني في خطابه بمجموعة من الآليات البلاغية؛ بغية تحقيق هدف خطابه الرئيس، ويتمثل في إقناع المخاطبين بأهمية عمله وقيمته، وكسب تضامنهم، وتأييدهم لما طرحه من آراء وأفكار، فأسهم توظيف هذه الآليات في تدعيم مقاصد الخطاب، وغاياته التواصلية التأثيرية. ومن ثم توجيه المخاطبين نحو الانخراط في قراءة المتن، والتفاعل معه، والتضامن مع أفكاره. وسنتناول –فيما يأتي– أبرز هذه الآليات البلاغية.

آليات البديع:

لا تنحصر وظيفة الأشكال البديعية في مجرد التزيين أو الزخرف اللفظي، بل تتعدى هذا لتؤدي دورًا حجاجيًّا إقناعيًّا، فلا يوظفها المرسل على سبيل زخرفة خطابه، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد[٢]. ومن هنا عنيت البلاغة الجديدة (نظرية البرهان Argumentation) بفحص الفنون البلاغية؛ بوصفها آليات إقناعية، يوظفها المرسل في

---

[١] الحجاج عند البلاغيين العرب، علي سلمان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة باحثين، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط ١/ ٢٠١٠، ١/ ص (٢٥٧). وفي نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د/ عبد الله صولة، ص (١١).

[٢] إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص (٤٩٧ – ٤٩٨).

خطابه؛ بغرض إثارة التأييد في نفوس المخاطبين – للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد وتقويته[١].

ويلاحظ الفاحص لمقدمة القرطاجني كثافة حضور آليات البديع فيها، سيرًا على نهج المؤلفين في عصره، وعلى الرغم من هذا فإن توظيف القرطاجني لفنون البديع لم يأت لمجرد التقليد والاتباع، وإنما جاء داعمًا ومقويًا لمقاصد خطابه وأغراضه. فتجده يستدعي أدوات البديع من السجع والجناس والطباق والمقابلة؛ ليجذب انتباه المخاطبين إلى عالم المتن، ويدفعهم إلى التفاعل معه، وإدراك مضامينه؛ بغية تحقيق الاقتناع والتسليم والتصديق في النفوس.

يقول في سياق بيان فضائل ممدوحه؛ وفقًا لما طرحه في المتن: "**أَشْرَقَتْ إِشْرَاقَ الصَّبَاحِ فَضَائِلُهُ، وتَدَفَّقَتْ تَدَفُّقَ السَّحَابِ أَنَامِلُهُ، وانْقَسَمَتْ بَيْنَ نَفْعِ العُفَاةِ وضَرِّ العُدَاةِ شَمَائِلُهُ، ووَسِعَتْ أَرْبَابَ النُّهَى وطُلَّاب اللُّهَى نَوَافِلُهُ، ووَسِعَتْ أَرْبَابَ النُّهَى وطُلَّابَ اللُّهى نَوَافِلُهُ، فَظَفَرَ بِمَا أَمَّلَهُ من الفوائِدِ ومَا أَمَّ لَهُ من الفرائِدِ سَائِلُهُ وسَائِلُهُ، وتُقُبِّلَتْ بذلك عِنْدَ اللهِ وَسائِلُهُ**[٢]". ويقول في معرض حديثه عن خصال ممدوحه الكريمة ومكانته الرفيعة؛ تبعًا لما ورد في المتن: "**مَلِكٌ تَحَلَّى مِنْ كَرِيمِ الخِلالِ وعَظِيمِ الجَلالِ مَا تَحَلَّى؛ فَعَاذَ بِهِ فِي أُفْقِ الخلافةِ وتَجَلَّى، واسْتَقَرَ فَوْقَ سَرِيرِ مُلْكِهِ، فَانْحَطَ كُلُّ مَلِكٍ عَن سَرِيرِهِ وتَخَلَّى. بَهَرَ أَمْلَاكَ الأُمَمِ والعَوَالِمِ سِبَاقًا وخَصْلًا فَمَا جَلَّى سَابِقٌ كَمَا جَلَّى، ونَوَّرَ أَحْلاكِ الظُّلَمِ والمَظَالِمِ إِشْرَاقًا وعَدْلًا، فَمَا جَلَّى شَارِقٌ كَمَا جَلَّى**[٣]".

تبرز آلية السجع هنا في صورة هذا التتابع الصوتي المتوازي الناتج عن توافق فواصل الكلام في عدد الحروف والحركات والسكنات (فَضَائِلُهُ، أَنَامِلُهُ، شَمَائِلُهُ، نَوَافِلُهُ، وَسَائِلُهُ)، (تَحَلَّى، تَجَلَّى، تَخَلَّى). فأسهم هذا التتابع الصوتي في جذب انتباه المخاطبين، واستمالة نفوسهم، وتنشيط أذهانهم؛ لدفعهم نحو إدراك ما تحمله هذه الجمل المسجوعة

---

[١] بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل، ص (٦٧).

[٢] مقدمة المقصورة، ص (١٣).

[٣] السابق، ص (١٤).

من معانٍ وأفكار ودلالات ترتبط بمقاصد الخطاب وأغراضه. كما أنتج هذا الإيقاع الصوتي تناغمًا وانسجامًا وتماسكًا بين أجزاء الكلام.

وتتجلى الوظيفة الإقناعية للسجع في إبراز حجج المرسل وتدعيمها وتثبيتها في نفوس المخاطبين؛ استنادًا إلى التماثل بين فواصل الكلام صوتيًّا ودلاليًّا، فعزز مجيء السجع هنا الحجة المتصلة ببيان خيرات الممدوح وفضائله التي عمت رعيته، وشملت أقطار دولته، فأفاض بعطاياه –تطوعًا– على جميع الناس من عامة السائلين أو خاصتهم من العلماء والأدباء، كما أصاب الضر أعداءه بما تحلى به من قوة وشجاعة وإقدام.

ومن هنا تتضح القيمة التوجيهية للسجع في توجيهه للمخاطبين نحو ما يرومه المرسل من أحكام، وما يطرحه من حجج؛ تؤكد امتلاك ممدوحه لقيم الدين والخير والجود والشجاعة، وبذلك يحصل الاقتناع بالنتيجة المبتغاة، وتتحدد في استحقاق المستنصر للمدح والثناء، وفقًا لما ورد في متن المقصورة عما تحلى به من صفات، تؤكد صلاحه، وتثبت كرم أخلاقه، وجميل خصاله.

وقد عضد المرسل البنية الحجاجية للسجع بتوظيف المقابلة القائمة على التضاد في قوله: "**بَيْنَ نَفْعِ العُفَاةِ وضَرِّ العُدَاةِ**"؛ ليدعم حجته المتعلقة بالكشف عن صفات ممدوحه، فيبرز علاقة التباين أو الاختلاف بين حال هذا الممدوح حين يتعامل مع العفاة أو من يطلبون عطاياه، وبين حاله حين يتعامل مع الأعداء، فينفع السائلين بما يجود عليهم من خيرات وأفضال، ويضر الأعداء بما يقابلهم به من قوة وشدة، تدفع شرورهم. وتضمنت هذه المقابلة لونًا من التوافق الصوتي الناتج عن الاتفاق في الصيغة والوزن بين التركيبين: (نَفْعِ العُفَاةِ، ضَرِّ العُدَاةِ). وهذا مما تستلذه الآذان، وتأنس إليه النفوس، فيحصل الاقتناع بالمقاصد والأغراض، ويتحقق الإقبال على الخطاب والتفاعل معه.

كما استدعى المرسل آلية الجناس المرتكزة على فكرة المخادعة الجمالية التي كشف عنها عبد القاهر الجرجاني في أثناء تناوله للفائدة المعنوية المتحققة من وراء توظيف هذه الآلية البلاغية، فرأى أن دورها لا ينحصر في الزخرف اللفظي وحسب، وإنما يتعدى

ذلك؛ ليسهم في إبراز المعاني المقصودة، وتوضيحها في الأذهان، فينخدع السامع في بادئ الأمر؛ إذ يتوهم الاتحاد في المعنى بين الكلمتين المتجانستين، فإذا أمعن النظر تأكد من اختلاف المعنى بينهما[1]، ومن ثم تتحقق للجناس القيمتان: الجمالية، والدلالية.

ترى القرطاجني يجانس بين لفظتي: (الفوائد)، و(الفرائد) في قوله: "**فَظَفَرَ بِمَا أَمَّلَهُ من الفوائِدِ ومَا أَمَّ لَهُ من الفرائِدِ سَائِلُهُ وسَائِلُهُ**"، جناسًا ناقصًا؛ إذ اتفقا في جميع حروفهما عدا حرف واحد، مع اختلاف المعنى، بيد أن هذا التجانس الصوتي يجذب انتباه المخاطبين، ويوجه أذهانهم نحو إدراك المعنى الحجاجي المتصل بإثبات سعة جود الممدوح، وفقًا لما طرح في متن المقصورة؛ إذ يحقق المستنصر آمال سائليه ومقاصدهم التي يسعون إليها.

كما جانس بين (سَائِلُهُ) و(سَائِلُهُ) جناسًا تامًا؛ ليدعم المعنى المقصود في قوله: "**ووَسِعَتْ أَرْبَابَ النُّهَى وطُلَّابَ اللُّهى نَوَافِلُهُ**"، فيحيل بسائله الأولى إلى أرباب النهى من العلماء والأدباء، ويحيل بسائله الثانية إلى طلاب اللهى أو العطايا، وهذا مما أسهم في إثبات حجة المرسل المتمثلة في أن الممدوح يجود على جميع السائلين من الخاصة أو العامة.

وجانس كذلك بين (وسائله) و(وسائله) في قوله: "**فَظَفَرَ بِمَا أَمَّلَهُ من الفوائِدِ ومَا أَمَّ لَهُ من الفرائِدِ سَائِلُهُ وسَائِلُهُ، وتُقُبِّلَتْ بذلك عِنْدَ اللهِ وَسائِلُهُ**"، جناسًا تامًّا مركبًا، طرفه الأول مركب من حرف العطف (الواو) ولفظة (سائله)التي تحيل إلى طلاب النوال، وطرفه الثاني لفظة واحدة (وسائله) يحيل بها إلى ما اتخذه الممدوح من طرق أو وسائل يتقرب بها إلى الله عز وجل. وقد حقق هذا الجناس ثراء إيقاعيًّا ودلاليًّا، الثراء الإيقاعي نتج عن التماثل الصوتي بين الطرفين، أما الثراء الدلالي فقد نتج عن تدعيم مقاصد الخطاب وأغراضه المتعلقة بإثبات تقوى الممدوح وحرصه على إرضاء الله عز وجل،

---

[1] ينظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١ المدني ١٩٩١م، ص (٧ – ١٨).

فكل ما يصدر عنه من خيرات وأفضال يقصد بها رضا الله، ولا يسعى بها إلى تحقيق غرض دنيوي.

وبذلك تظهر عناية القرطاجني بتشكيل خطابه التقديمي وفق بنية إيقاعية مؤثرة، فتراه يأتي بالتراكيب المتوازية؛ بغية تحقيق استجابة المخاطبين، وضمان تفاعلهم مع الخطاب؛ إذ إن انسجام الأجزاء وتلاحم الأصوات واعتدال المقاطع مما تستلذه الآذان وتنشط له الأذهان، فتندفع نحو تأمل المعاني، واستجلاء المقاصد والأغراض، حتى يحصل الاقتناع والتصديق في النفوس، فيقول في معرض حديثه عن مكانة ممدوحه الرفيعة وفضائله الحميدة: "**بَهَرَ أَمْلَاكَ الأُمَمِ والعَوَالِمِ سِبَاقًا وخَصْلًا فَمَا جَلَّى سَابِقٌ كَمَا جَلَّى، ونَوَّرَ أَحْلاكِ الظُّلَمِ والمَظَالِمِ إِشْرَاقًا وعَدْلًا، فَمَا جَلَّى شَارِقٌ كَمَا جَلَّى**"، فتلحظ هنا التوازي بين (بهر) و(نور)، و(أملاك) و(أحلاك)، و(الأمم) و(الظُّلم)، و(العوالم) و(المظالم)، (سباقًا) و(إشراقًا)، و(خصلا) و(عدلًا)، و(فما جلّى سابق كما جلّى) و(فما جلّى شارق كما جلّى).

ولم ينشأ هذا التماثل البنيوي من فراغ، وإنما جاء ليؤكد أن هذه المتتاليات اللغوية متعادلة في أهميتها من جهة تعبيرها عن سمو منزلة الممدوح وعلو قدره بين الملوك واتباعه لمسيرة عادلة، رد فيها المظالم إلى أصحابها، فضلًا عن منجزاته التي أنارت أحلاك الظلم، يقصد تجديده لقنوات المياه القديمة المندثرة؛ لتصل إلى تونس، فيحل بها الخير والخصب والنماء.

ويقترن التوازي هنا بفنون بديعية أخرى كالطباق بين (نوّر، والظلم)، و(المظالم، وعدلًا)، والجناس بين (الظلم والمظالم)، و(أحلاك، وأملاك)، و(سابق، وشارق)، والسجع المتوازي بين فاصلة الجملتين، (فَمَا جَلَّى سَابِقٌ كَمَا جَلَّى)، (فَمَا جَلَّى شَارِقٌ كَمَا جَلَّى)، وهذا مما أسهم في تحقيق عنصري الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين؛ إذ أعانهم على فهم المتن واستيعاب مضامينه وأفكاره.

كما يستحضر المرسل آليات التقسيم والتفصيل والتكرار والجناس والسجع، بغرض جذب المخاطبين نحو الولوج في عالم المتن؛ إذ يربطهم بجزئياته وتفاصيله، كاشفًا عما

اشتملت عليه المقصورة من أغراض وفنون، فيقول: "**وَانْقسَمَ مَا اشْتَمَلت عَلَيْه مِن الأغْرَاضِ والفنونِ إلى: مَدْحٍ وغَزَلٍ وحِكْمَةٍ ومَثَلٍ، ووَصْفِ مَعَالِمَ ومَجَاهِلَ، وَمَنَازِلَ ومَنَاهِلَ، ورِيَاضٍ وأزْهَارٍ، وحِيَاضٍ وأنْهَارٍ، وأَزْمُنٍ وأعْصَارٍ، ومُدُنٍ وأمْصَارٍ، وجَوَازٍ في قِفَارٍ، وجَوَارٍ في بِحَارٍ، وصَيْدٍ وقَنَصٍ، ووَعْظٍ وقَصَصٍ، ومَواقِفَ تَعجُّبٍ واعْتِبَارٍ، ومَوَاطِن تَبَسُّمٍ واسْتِعْبَارٍ...**"[1]، فتراه يُعنى بتقسيم أجزاء الكلام وتفصيلها، فيبدأ بذكر ما احتوت عليه مقصورته من أغراض وفنون، وتتحدد في: المدح، والغزل، والحكمة، والمثل، والوصف، والوعظ والقص، والتعجب، والشكوى والبكاء. ثم يعمد إلى تفصيل ما عنيت المقصورة بوصفه من معالم ومجاهل، ورياض وأزهار، وأنهار وعيون، ومدن وأمصار، وقفار وبحار...

وترى القرطاجني يعمد إلى توظيف آلية التكرار، فيكرر الأوزان والصيغ الصرفية: (معالم = مجاهل = منازل = مناهل)، (أزهار = أنهار = أعصار = أمصار)، (قفار = بحار)، (تعجب = تبسم)، وهذا مما حقق توازيًا صوتيًّا وصرفيًّا وإيقاعيًّا يثير نفوس السامعين، ويجذبهم نحو تأمل ما تحمله هذه الصيغ الصرفية المكررة من دلالات معنوية تتعلق بتدعيم الحجة المتصلة بإثبات ما انمازت به المقصورة من تنوع في ألوان الوصف، وتعدد في الأغراض والمقاصد.

كما وظف القرطاجني ضربًا آخر من ضروب التكرار، يتمثل في الانتقال من العام إلى الخاص، وقد أدرج ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هذا الضرب ضمن ضروب التكرار في المعنى؛ إذ يقول: "ومما ينتظم بهذا السلك أنه إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين: أحدهما خاص، والآخر عام[2]"، فتراه يقول في سياق بيان ما اشتملت عليه المقصورة من أغراض وفنون: "**ووَصْفِ... رِيَاضٍ وأزْهَارٍ، وأَزْمُنٍ وأعْصَارٍ، ومُدُنٍ وأمْصَارٍ،... وصَيْدٍ وقَنَصٍ...**"، فيذكر (الرياض) وهي لفظ عام، والأزهار وهي خاص؛

---

[1] مقدمة المقصورة، ص (١٦).

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، القسم الثالث، ص (٢٧).

إذ إن الأزهار داخلة في جملة ما تشتمل عليه الرياض، ويقول: (أزمن وأعصار)، فالأزمن عام، والأعصار خاص[١]؛ إذ يشمل الزمان عصورًا مختلفة.

وينتقل كذلك من العام إلى الخاص في قوله: (مدن وأمصار)، فالمدن لفظ عام، والأمصار ويراد بها المدن المعروفة[٢] لفظ خاص؛ إذ إنها داخلة في جملة المدن. ثم يقول: (صيد وقنص)، فالصيد عام والقنص خاص؛ إذ يدل على ما اقتنص أو اصطيد من طير أو حيوان[٣]. وقد أفاد هذا التكرار بالانتقال من العام إلى الخاص في توجيه المخاطبين نحو قراءة المتن، والتفاعل معه؛ إذ يربطهم بجزئياته وتفاصيله.

ويستدعي القرطاجني كذلك ألوان البديع من السجع والجناس والتفصيل في سياق إثبات قيمة مقصورته الجمالية؛ إذ يكشف عما تضمنته من فنون بلاغية تجذب انتباه السامعين إليها، وتثير في نفوسهم القبول والاستحسان، فيقول: "**قَدْ أَحْكَمَ صِيَغَهَا ومَبْنَاهَا، وقَسَّمَ صنْعَةَ لفْظِهَا ومَعْنَاهَا إلى مَا يُنَشِّطُ السامعَ ويُقَرِّطُ المَسامِعَ مِن تجْنِيسٍ أنيسٍ، وتطْبِيقٍ لَبِيقٍ، وتشْبِيهٍ نَبِيهٍ، وتَقْسِيمٍ وَسِيمٍ، وتَفْصِيلٍ أَصِيلٍ، وتَبْلِيغٍ بَلِيغٍ، وتَصْدِيرٍ بالحُسْنِ جَدِيرٍ**"[٤]، يفصل القرطاجني القول هنا في مظاهر إحكام صنعة مقصورته، كاشفًا عما احتوت عليه من فنون بلاغية تؤكد قيمتها الجمالية، فيعنى بالجرس الصوتي المؤثر الناتج عن جرس الفواصل والتجانس بين الألفاظ (السامع، المسامع)، (تجنيس، أنيس)، (تطبيق، لبيق)، (تشبيه، نبيه)، (تبليغ، بليغ)، وهذا مما أفاد في حمل المخاطبين على الاقتناع والتصديق؛ إذ دفعهم إلى إدراك قيمة المقصورة الجمالية، وفقًا

---

(١) قال ابن السيد: الزمان: مدة الأشياء المتحركة، يقال: الزمان مدة الأشياء المحسوسة...، قال المبرد: والعصر اسم للسنين الكثيرة...، ينظر معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري بترتيب وزيادة، الزمن والعصر، جامع الكتب الإسلامية، م ١/ ص ٢٣٨.

(٢) الجوهري: مصر هي المدينة المعروفة، تذكّر وتؤنّث، عن ابن السرَّاج، المصر: واحد الأمصار، والمصر: الكورة، والجمع: أمصار، وقال الليث: المصر في كلام العرب: كل كورة تقام فيها الحدود، ويقسم فيها الفيء والصدقات. لسان العرب، مادة (مصر).

(٣) لسان العرب، مادة (قنص). القنص والقنيص: ما اقتُنِصَ أم ما اصطيد من طير أو حيوان.

(٤) مقدمة المقصورة، ص (١٦).

لما اشتملت عليه من فنون بلاغية عدة، تتمثل في فنون: الجناس[١]، والطباق[٢]، والتشبيه[٣]، والتفصيل[٤]، والتبليغ[٥]، والتصدير[٦].

---

[١]من أمثلة الجناس:

كَمْ فضَّـــةٍ جَـامِـدَةٍ أَنْـفَـقْـتَ كَـيْ تُجْرِي ذَوْبَ فضَّـــةٍ وَسْـــطَ الفَضَـــا
حـتـى تـراهُ مُـغْـنِـيًـا مَـنْ قـد جَـبَـى مـن الـلُّـجَـيْـنِ مُـغْـنِـيًـا مَـنْ قَـد عَـفَـا

المقصورة، ص (٢٧). يأتي الجناس هنا بين (مُغْنِيًا) في الشطر الأول من غنى الحال، و(مُغْنِيًا) في الشطر الثاني من الإغناء. وكذلك يقع الجناس بين (جبى) من جباية الأموال، و(جبا) من جبيت الماء إذا جمعته. يصف القرطاجني هنا ما أنفق المستنصر من الفضة الجامدة؛ لتتدفق المياه إلى تونس من جبل زغوان تدفق الفضة الذائبة، فيفيض الماء على الأرض ويروي الزرع، ويعم الخير ويغتني الناس، فتمتلئ حقائب الجباة بالمال، ويفيض الماء على الأرض، فيغني المزارعين عن جمع الماء في الجوابي وهي الأحواض التي يجمع فيها الماء للإبل. ينظر رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، السَّبتي، ص (٤٣٠ – ٤٣٤)، وحازم القرطاجني حياته وشعره، د/ سيد كيلاني، ص (٣١٠).

[٢] من أمثلة الطباق:

يَـا عَـجَـبًـا لِـطَـيِّ هـذا الـدهـرِ مـا يَـنْشُـــرُهُ ونَشْـــرِهِ مَـا قـد طَـوَى

المقصورة، ص (٢٨). فطابق بين الطي والنشر.

[٣] من أمثلة التشبيه: "قَدْ كَانَ كالنائِمِ حتى نَبَّهَتْ عَيْنُ المَعَالِي عَيْنَهُ مِن الكَرَى"، المقصورة، ص (٢٨). شبه الماء حال عدم وصوله إلى تونس بحال النائم، ثم لما عاد إلى الجريان بعد أن جدد المستنصر قنواته الداثرة كان كالمنتبه من نومه.

[٤] من أمثلة التفصيل:

صُـــبْحٌ بَـدَا بَـدْرٌ هَـدَى طَوْدٌ عَـلَا بَـحْـرٌ حَـلَا غَـيْـثٌ هَمَـى لَـيْـثٌ سَـــطَـا
نَجْمٌ سَـــرَى سَـــيْفٌ فَرَى رُكْنٌ سَـــمَا حِصْـــنٌ حَمَى رَوْضٌ ذَكَـا غُصْـــنٌ زَكَـا

المقصورة، ص (٢٥).

[٥] من أمثلة التبليغ (الإيغال):

ثُـمَّ تَـجَـلَّـتْ آيَـةُ الـلـهِ الـتـي بَـدَا بِـهَـا الـحـقُّ الـيَـقِـيـنُ وجَـلَا
بـنَـجْـلِـهِم بَـلْ نَـجْـمِـهِم بَـلْ بَـدْرِهِم بَـلْ شَـــمْسِـــهِم ذاتِ السَّـــنَـاءِ والسَّـــنَـا

المقصورة، ص (٢٥). تخلص إلى القافية بما يتمم المعنى في قوله: "ذاتِ السَّنَاءِ والسَّنَا" مجانسًا بينه وبين لفظ السناء، فجاء بصفتي الشمس؛ النور ورفعة المكانة.

[٦] من أمثلة التصدير (رد أعجاز الكلام على صدوره):

يَـمْـتَـنِـعُ الـجـيـشُ بـه ويَـحْـتَـمِـي إذا امْـرُؤٌ بـالـجـيـشِ والـجـنـدِ احْـتَـمَـى

المقصورة، ص (٣١). أفاد التصدير هنا في تأكيد المعنى المتعلق بقوة الممدوح وشدته، فالجيش يحتمي به؛ لشدته وقوته وهيبته في مواجهة أعدائه، وهذا على خلاف العادة بأن يحتمي القائد بجيشه.

وهكذا أفاد توظيف البديع في مقدمة القرطاجني في انسجام أجزائها، وتلاحم أصواتها، واعتدال مقاطعها؛ تحقيقًا لإقبال المخاطبين، واستمالة لنفوسهم نحو قراءة المتن والتفاعل مع ما يطرحه من آراء وأفكار.

آلية التشبيه:

لما كانت البلاغة مسلكًا بيانيًّا يستهدف الإقناع والتأثير، عمد القرطاجني إلى توظيف آلية التشبيه؛ بوصفها تقنية بلاغية تكتنز طاقات حجاجية تأثيرية، تدفع المخاطبين إلى التسليم والتصديق والإذعان للطرح المقدم؛ إذ تستميل عقولهم نحو إدراك المعنى الحاصل من التفاعل بين الطرفين؛ الموضوع (المشبه)، والحامل (المشبه به)، ومن ثم تحصل الاستجابة للمضمون المعرفي المقصود.

وقد تنبه البلاغيون القدامى إلى القيمة الحجاجية التأثيرية للتشبيه؛ إذ يقول عبدالقاهر الجرجاني في تحديد ماهية هذا الفن البلاغي: "التشبيه أن تثبت لهذا (المشبه) معنى من معاني ذاك أو حكمًا من أحكامه (المشبه به) كإثباتك للرجل شجاعة الأسد...[١]"، وهذا مما يؤكد أن التشبيه يأتي لإثبات المعاني المقصودة وتدعيمها في نفوس السامعين. كما يندرج التشبيه –وفقًا لما طرحه بيرلمان وتيتكاه– ضمن الطرائق الحجاجية الاتصالية، ويراد بها: "الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءًا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها؛ لغاية هيكلتها أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويمًا إيجابيًّا أو سلبيًّا[٢]". ومن هنا تتحدد وظيفة التشبيه الحجاجية في الربط بين عنصرين متباينين، وإقامة ضرب من التضامن بينهما؛ بغية إبراز الموضوع (المشبه) في صورة واضحة في أذهان المخاطبين، أو تقويمه بواسطة الحامل (المشبه به) تقويمًا إيجابيًّا أو سلبيًّا.

وقد أفاد توظيف القرطاجني لآلية التشبيه في مجرى خطابه التقديمي في تحقيق غرضين رئيسين؛ هما: ربط أذهان المخاطبين بمضامين المتن وأفكاره المتعلقة بمدح

---

[١] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص (٨٧).

[٢] في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د/ عبد الله صولة، ص (٤١).

المستنصر، وإثبات قيمة المقصورة الأدبية والجمالية. فتراه يستدعي آلية التشبيه في سياقين حجاجيين، يتحدد الأول في وصف خصال ممدوحه الكريمة ومكانته الرفيعة، فيعقد صورة تشبيهية تكشف عن كفاءته الثقافية والمعرفية بعلم الفلك، فيشبه أيام حكم المستنصر في حسنها وما بث فيها من العدل بزمن حلول الشمس في برج الحمل، وفيه يكون اعتدال الليل والنهار وذلك أفضل فصول السنة (فصل الربيع)[١]، فيقول: "**وَطَلَعَ عَلَى الأَيَّامِ طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي الحَمَلِ، فَقَامَ بِهِ وَزْنُ الزَّمَانِ واعْتَدَلَ**"، وتعكس هذه الصورة التشبيهية المعنى الحجاجي الذي أراد القرطاجني أن يبثه في أذهان المخاطبين ويتمثل في الكشف عما أحاط به المستنصر رعيته من عدل وفضل وجود وإحسان، فصارت الأيام بفضله ربيعًا كلها، وهذا ما يؤكد استحقاقه للمدح والثناء. وقد أشار القرطاجني إلى هذا المعنى في متن المقصورة، فقال:

عَادَ بِهِ الدَّهْرُ رَبِيعًا كُلُّهُ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ وَاسْتَوَى[٢]

كما استعان القرطاجني بآلية التشبيه في وصف قوة ممدوحه وشجاعته في مواجهة أعدائه، فشبه رماحه بقداح الميسر التي يحركها صاحبه؛ لينال بها مراده، فقال: "**وَصَيَّرَ الأَهِلَّةَ مِن الأَكِلَّةِ والرِّمَاحَ من القِدَاحِ**[٣]"، وهنا ينتزع القرطاجني صورته التشبيهية من أشعار الجاهليين؛ ليدفع بأذهان المخاطبين نحو استحضار مخزونهم الثقافي؛ للوصول إلى المعنى الناتج عن التفاعل بين طرفي الصورة: الرماح والقداح، ويتحدد في إثبات قوة الممدوح العسكرية، وبيان مدى استعداده لمواجهة أعدائه، وتحقيق النصر عليهم. وقد أحالت هذه الصورة المخاطبين إلى متن المقصورة؛ إذ يصف القرطاجني رماح ممدوحه، فيجعلها حبالًا تستقى بها النفوس، فيقول:

كَأَنَّمَا أَرْمَاحُهُ أَرْشِيَةٌ بِهَا النُّفُوسُ الفَائِضَاتُ تُسْتَقَى[٤]

---

[١] ينظر شرح مقدمة المقصورة، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، أبو القاسم محمد الشريف السَّبتي، ص (١١٩).

[٢] المقصورة، ص (٩٩).

[٣] مقدمة المقصورة، ص (١٤).

[٤] المقصورة، ص (٣٤).

كما أفادت هذه الصورة في ربط المخاطبين بمقاصد المتن وغاياته المتعلقة بتحفيز الممدوح وتحريك همته نحو استرداد الأندلس وردها إلى أهلها؛ إذ يقول:

وَلَوْ سَـــمَـا خَلِيفَـةُ اللـهِ لَهَـا لَافْتَكَّهَـا بـالسَّـيْفِ مِنْهُم وافْتَـدَى[١]

ويصف القرطاجني مكانة ممدوحه الرفيعة وعزة سلطانه وعلو شأنه، فيشبه انتظام الدول في طاعته بانتظام الدر على الخيط، إذ يقول: "**وانْتَظَمَت الدُّوَلُ في طَاعتِهِ انْتِظَامَ الدُّرِّ على السُّلُوكِ**[٢]"، وتتحقق فاعلية التشبيه الحجاجية هنا فيما يمتلكه من طاقات إقناعية تأثيرية تدفع المخاطبين نحو الوصول إلى المعنى الناتج عن التفاعل بين الطرفين؛ الموضوع (انتظام الدول في طاعة الممدوح) والحامل (انتظام الدر على الخيط)، ويتحدد هذا المعنى في تأكيد مدى التزامهم بالطاعة وحرصهم على عدم مخالفتها، وهذا ما يدل على علو مكانة الممدوح ورفعة شأنه.

وهنا يحيل القرطاجني أذهان المخاطبين إلى متن المقصورة؛ إذ يبالغ في وصف مكانة ممدوحه، فيجعله قائد الملوك الذي يسوقهم بعصا سلطانه، فيقول:

سَـاقَ المُلُوكَ بِعَصَـا سُـلْطَانِـــهِ فَكُلُّهُم صَيَّرَهُ عَبْـــــدَ العَصَـــــا
فَلَـوْ أَرَادَ سَـــوْقَ خَـاقَـانَ بِـهَـا لانْـقَـادَ فـي طَـاعَتِـهِ ومَـا عَصَـــى
ولَوْ أَرَادَ سَـــوْقَ كِسْـــرَى فَـارِس بِـهَـا ثَنَـاهُ وهو مَكْسُـــورُ المَطَـا[٣]

ويتمثل السياق الثاني في إثبات قيمة المقصورة الأدبية والجمالية؛ إذ يصف ما انمازت به من حسن النظم وجودة الرصف، قائلا: "**فَهِي مِنْ تَنَاسُبِ أَلْفَاظِهَا، وتَنَاسُقِ أَغْرَاضِهَا قِلادةٌ ذَاتُ اتساقٍ**"[٤]، ويصف جمال صياغتها، فيقول: "**ومِنْ تَبَسُّمِ زَهْرِهَا، وتَنَسُّمِ نَشْرِهَا حديقةٌ مُبْهِجَةٌ للنفوسِ والأسماعِ والأحداقِ**"[٥]، فيشبه المقصورة بقلادة

---

(١) المقصورة، ص (١٠٥).
(٢) مقدمة المقصورة، ص (١٥).
(٣) المقصورة، ص (١٠٠). خاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك، لسان العرب، مادة (خقن).
(٤) مقدمة المقصورة، ص (١٧).
(٥) السابق، ص (١٧).

العنق المتسقة؛ تأكيدًا لتناسب أجزائها وتناسقها، ويشبهها بالحديقة المبهجة للنفوس والأسماع والأحداق؛ تأكيدًا لجمال صياغتها المؤثر. وقد أفادت هاتان الصورتان التشبيهيتان في تدعيم حجة المرسل المتعلقة بإثبات قيمة مقصورته الجمالية من جهة كونها تتسم بجودة النظم وجمال الصياغة، وهذا ما يحقق الإقبال في نفوس المخاطبين، ويدفعهم نحو قراءتها والتفاعل معها.

ويستدعي المرسل آلية التشبيه؛ لإثبات قيمة مقصورته الجمالية، قائلًا: "**فَهِيَ أُمُّ القَصَائِدِ وَوُسْطَى القَلَائِدِ**[1]"، فيشبهها بالأم بالنسبة إلى غيرها من القصائد، وأُمُّ كل شيء: أصله وعماده[2]؛ فبفضل ما تضمنته المقصورة من معانٍ شريفة، وألفاظ فصيحة، وفنون بديعة، أصبحت أصلًا وعمادًا تستند إليه جميع القصائد، ثم يشبهها بواسطة القلادة أي الجوهرة التي تكون في وسطها، وهي أجودها. وبذلك أسهمت هاتان الصورتان التشبيهيتان في الكشف عن المعنى الحجاجي المتمثل في إثبات تفرد المقصورة وتميزها عما سواها من القصائد.

وقد اختار المرسل لهذين التشبيهين صورة التشبيه البليغ (محذوف الأداة والوجه)، ويقع هذا اللون من التشبيه في أعلى مراتب السلم الحجاجي المحقق للإقناع؛ ذلك أن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه، أما حذفها فيوهم عدم تلك المزية. وذكر وجه الشبه يدل على انتفاء وجه آخر له، أما حذفه فيوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به[3]. وبذلك يتأكد الاتحاد والتلاحم بين طرفي الصورة، فتقوى حدة الإذعان والتسليم والتصديق للطرح المقدم.

آلية الاستعارة:

لا تنحصر وظيفة الاستعارة في الجانب الجمالي الإمتاعي، وإنما تتعدى هذا لتؤدي دورًا حجاجيًّا إقناعيًّا مؤثرًا من خلال العدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؛

---

(1) مقدمة المقصورة، ص (١٨).

(2) ينظر لسان العرب، مادة (أمم).

(3) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ص (٢٢٧).

مما يضمن تفاعل المخاطب مع النص، ويحقق استجابته؛ بحثًا عن أسرار العدول ودواعيه. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى حجاجية الاستعارة؛ إذ عدَّها طريقة لإثبات المعنى بالادعاء، فقال: "فإذا قال القائل: رأيت أسدًا، ادعى أنه أسد بالحقيقة، ومعنى قولنا: أنه استعير له اسم الأسد، إشارة إلى أنه استعير له معناه، فكان غرضه أن يثبت للرجل أنه مساو للأسد في شجاعته وجرأته وشدة بطشه وإقدامه...[١]".

كما أكد بيرلمان وتيتكاه أهمية الاستعارة في العملية الحجاجية في قولهما: "إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا...، فلا يمكن تحليل الاستعارة حجاجيًّا إلا بوصفها تمثيل تكثف فهو موجز، ووجه الكثافة فيه والإيجاز الاندماج الحاصل بين أحد عناصر الموضوع (المشبه) وأحد عناصر الحامل (المشبه به) اندماجًا لا يمكن معه معرفة أي العنصرين هو الموضوع، وأيهما الحامل، وهو ما يحتم علينا أن نستعين بأحد السياقين؛ المقالي أو المقامي لكي نفهم[٢]".

وقد استدعى القرطاجني آلية الاستعارة في مقدمة مقصورته؛ بغية تحقيق غرضين رئيسين، يتمثل الغرض الأول في إثبات مضامين المتن وأفكاره المتصلة بمدح المستنصر، فتراه يوظف الاستعارة في سياق حديثه عما اتصف به الممدوح من فضائل عظيمة وشمائل كريمة، إذ يقول: "**والدَّهْرُ عَنْ سَنَاهُ يَتَبَسَّمُ، والزَّهْرُ عَنْ شَذَاهُ يَتَنَسَّمُ**"[٣]، فيصف استقرار الأوضاع في عهد ممدوحه، وتبدّل الأحوال في زمانه، بفضل إقامته للعدل وإزالته للظلم، مشخصًا الدهر في صورة إنسان يتبسم؛ معبرًا عن سعادته، ويشخص الزهر في صورة من يتنسم عطر سيرة الممدوح الطيبة، وذكره الحسن. وقد امتلكت هاتان الصورتان قوة إقناعية؛ إذ "إن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجيًّا من الأقوال العادية[٤]"، ولذلك تتموضع في أعلى مراتب السلم الحجاجي المحقق للإقناع، فإذا قال المرسل هنا إن الناس

---

[١] دلائل الإعجاز، ص (٤٣٤ – ٤٣٧).

[٢] في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، د/ عبد الله صولة، ص (٦٠ – ٦١).

[٣] مقدمة المقصورة، ص (١٢– ١٣).

[٤] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص (١٠٣).

قد سعدوا في زمان المستنصر، أو أنهم ذكروه بسيرة طيبة، لم يكن لهذين التعبيرين القوة الإقناعية نفسها؛ ذلك أن التعبير بالاستعارة يمتلك سلطة إقناعية تأثيرية، توجه أذهان المخاطبين نحو الوصول إلى النتيجة المبتغاة، وتتحدد في إثبات استحقاق المستنصر للمدح والثناء، استنادًا إلى اتصافه بالصفات المثلى (العدل والفضل والجود والإحسان...) التي يجب أن يتحلى بها كل راع. وقد وصف القرطاجني في متن مقصورته أفضال ممدوحه؛ قائلًا:

بَـدْرٌ جَـلَا بِـهِ الإِلَـهُ مَـا دَجَـا وَجَـبَـلٌ أَرْسَـــى بِـهِ مَـا قَـدْ دَحَـا
يُعْطِي ويُمْطِي والزَّمَـانُ يَقْتَفِي آثَـارَهُ مُـمْـتَـثِـلًا فِـيـمَـا أَتَـى[1]

ثم قال بعد ذلك بعدة أبيات:

قَـدْ يَـمَّـمَ الـخَـيْـرَ وأَمَّ سُـــبْـلَـهُ وَاقْـتَـصَّ آثَـارَ الـرَّشَـــادِ وَاقْـتَـفَـى[2]

ويستحضر القرطاجني آلية الاستعارة؛ بغرض وصف دوام عطاء الممدوح واستمراريته، فيقول: "**وَحَالَفَت النَّاسَ طَوَارِقُ جُودِهِ...**"[3]، فشبه ملازمة جود الممدوح وفضله للناس بالمحالفة أو المعاهدة التي تكون بين طرفين، بجامع الديمومة والاستمرار في الحالين. ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (المحالفة) للمشبه (الملازمة)، ثم اشتق من المحالفة الفعل (حالفت) بمعنى (لازمت). وبذلك عكست هذه الصورة الاستعارية المعنى الحجاجي المتصل بإثبات حرص الممدوح على العطاء والجود. وقد وصف القرطاجني في متن المقصورة جود ممدوحه قائلًا:

مُـقَـدَّمٌ قَـبْـلَ السُّـــؤَالِ جُـودُهُ فَـمَـا يَـقُـولُ مَـنْ يُـرَجِّـيـه: مَـتَـى؟
جَرَى إِلَـى نِـهَـايَـةِ الـجُـودِ الَّـتِـي مَـا بَعْـدَهَـا وُجُودُ مَعْنًى لِـــــ"إِلَى"[4]

---

[1] المقصورة، ص (٢٦).
[2] السابق، ص (٢٦).
[3] مقدمة المقصورة، ص (١٣).
[4] المقصورة، ص (٣٤).

ويصف سعة عطاء ممدوحه؛ إذ يحقق آمال سائليه، مستدعيًا الاستعارة، فيقول: "**وَبَرَكَتْ صَوَادِي الآمَالِ بِوَادٍ مُغْدِقٍ مِن بَرَكَتِهِ**"[١]، فيشبه آمال العفاة التي يتطلعون إلى تحقيقها –بفضل كرم الممدوح وعطائه– يشبهها بالبعير إذا بركت بواد كثر ماؤه، وهذا مما يؤكد ما أفاض به الممدوح على رعيته من كرم وفضل وإحسان. وتظهر نجاعة هذه الصورة الاستعارية وقوتها الإقناعية في استنادها على المخزون الحسي المشترك مع المخاطبين، والمنتزع من تجاربهم ومشاهداتهم في البيئة العربية؛ إذ تستدعي في أذهانهم صورة بروك البعير بواد مغدق، ليسد ظمأه، ويروي عطشه. ثم تربطها بصورة تحقق آمال العفاة بفضل جود الممدوح وكرمه.

ويعزز المرسل فكرته المتعلقة بإثبات سعة عطاء الممدوح، وفيض كرمه بتقديم صورتين استعاريتين أخريين، فيقول: "**كَمْ رَادَ العُفَاةُ بِأَرْضِهِ مِن جَمِيمٍ بَارِضٍ، وَكَمْ وَرَدُوا مِنْ جِمَامٍ غَيْرِ بَرْضٍ**"[٢]، فيشبه مطالب العفاة بالنبات الكثير الذي يغطي سطح الأرض أول ظهوره، ثم يشبه حالهم عند إدراك نوال الممدوح وعطاياه بحال من ورد منهلا فيه ماء كثير، فشرب وارتوى. وقد دعم المرسل هاتين الصورتين باستعمال كم الخبرية الدالة على معنى التكثير؛ ليدل على فيض عطاء ممدوحه، المؤكد لاستحقاقه للمدح والثناء.

ويتحدد الغرض الثاني لتوظيف الاستعارة في خطاب القرطاجني التقديمي في إثبات قيمة المقصورة الجمالية والدلالية، فتجده يصف صياغتها البديعة قائلًا: "**وَقَدْ تَحَلَّت بِعُقُودٍ مِن كلّ لفظٍ بالقلوبِ مَعْقُودٍ، وتَجَلَّت في سُمُوطٍ من كلّ مَعْنًى بالنفوسِ مَنُوطٍ**[٣]"، فيشبهها بامرأة تزينت بقلائد من الألفاظ النفيسة التي هي كالجواهر، ويصور بناءها المعنوي المحكم، فيشبهه بالسموط أو الخيوط المنظومة، ويشبه معانيها بفصوص الخرز التي تتشكل منها هذه الخيوط. ثم يستكمل تصوير نظمها الفريد، وبنائها المترابط، فيشبهه

---

(١) مقدمة المقصورة، ص (١٤).

(٢) السابق، ص (١٤). الجميم: النبت الكثير، والجمام جمع جُمّة وهي مجتمع الماء، ينظر لسان العرب، مادة(جمم)، والبارض: أول ما يظهر من نبت الأرض، والبرض: القليل من الماء، ينظر لسان العرب، مادة (برض).

(٣) مقدمة المقصورة، ص (١٥).

بالعقد المنظوم من اللؤلؤ المكنون، واللؤلؤ من أثمن الجواهر وأعلاها قيمة؛ إذ يقول: "**فَانْتَظَمَ عِقْدُهَا مِنْ اللؤلؤِ المكنون**"[١]، فأفادت هذه الصور الاستعارية في التعبير عن قيمة المقصورة الجمالية من جهة كونها بديعة النظم، متفردة الصياغة، نظمها القرطاجني في بناء فريد محكم كمن يصنع عقدًا من اللؤلؤ المكنون. وبذلك امتلكت هذه الصور طاقات توجيهية تحرّك مشاعر المخاطبين وعقولهم نحو الإعجاب بالمقصورة واستحسانها، ومن ثم الانخراط في قراءتها والتفاعل معها.

ويستعين المرسل بآلية الاستعارة؛ بغرض تأكيد قيمة مقصورته، قائلًا: "**قَدْ أَحْكَمَ صِيَغَها ومَبْنَاهَا، وقَسَّمَ صنْعَةَ لفْظِهَا ومَعْنَاهَا إلى مَا يُنَشِّطُ السامعَ، ويُقَرِّطُ المَسامِعَ مِن تجْنِيسٍ أنيسٍ، وتطْبِيقٍ لَبِيقٍ، وتشْبِيهٍ نَبِيهٍ، وتَقْسِيمٍ وَسِيمٍ... فَالآذَانُ بِأَقْرَاطِهَا حَالِيَةٌ...**"[٢]، إذ يشبه ما تضمنته المقصورة من فنون بلاغية؛ الجناس والطباق والتشبيه والتفصيل والتقسيم... تطرب لها الآذان وتستلذها، يشبهها بالأقراط التي يُتحلّى بها، فالآذان تزدان بسماعها كما تزدان بالأقراط. وقد دعمت هذه الصورة الاستعارية حجة المرسل المتعلقة بإثبات قيمة مقصورته الجمالية؛ إذ تمتلك قوة تأثيرية تجذب انتباه السامعين، وتدفعهم إلى الإعجاب بها.

وترى القرطاجني يدفع المخاطبين إلى التسليم والإقرار بقيمة مقصورته الدلالية، مستدعيًا آلية الاستعارة في قوله: "**تُوقِظ القلوبَ الوَسِنَةَ، وتُؤنِسُ وتُسَلِّي**"[٣]؛ إذ يشخصها في صورة إنسان ينصح غيره ويعظه، فينبهه من غفلته، ويشخصها كذلك في صورة إنسان يؤنس غيره ويسليه. ومن ثم تفيد هاتان الصورتان في الكشف عن المعنى الحجاجي المتصل بإثبات قيمة المقصورة؛ إذ تصف ما تضمنته من مواعظ وحكم توقظ الغافل، وما عرضته من عجائب الأخبار والقصص التي تؤنس النفوس وتسليها. وبذلك يتحقق هدف الخطاب المتمثل في دفع المخاطبين نحو قراءة المقصورة والتفاعل مع مضامينها.

---

[١] مقدمة المقصورة، ص (١٦).

[٢] السابق، ص (١٦- ١٧).

[٣]) السابق، ص (١٨).

نتائج البحث:

– أثبت البحث وعي مرسل الخطاب بدور المقدمة، بوصفها مدخلا نصيًّا فاعلًا في دفع المخاطبين نحو الولوج في عالم المتن، واستيعاب مضامينه ومقاصده.

– أسس المرسل خطابه التقديمي وفق إستراتيجية إقناعية تستهدف التأثير في نفوس المخاطبين، وتدفعهم إلى التسليم والتصديق بكل ما يطرحه من آراء وأفكار.

– عمد المرسل إلى ربط أذهان المتلقين بموضوع المتن، وإعدادهم إعدادًا ذهنيًّا للولوج في عالمه، والتفاعل معه، والتسليم والتصديق والإذعان لكل ما جاء فيه.

– تعالقت بنية المقدمة مع المتن دلاليًّا وإيحائيًّا، فعلى المستوى الدلالي أكدت قيمة المقصورة وأهميتها من خلال ما اتسمت به من الإحكام والجودة في الصناعة الشعرية، وما احتوت عليه من معانٍ وأغراض ومقاصد وفنون. وعلى المستوى الإيحائي عكست ما أراد القرطاجني تحقيقه من مقاصد خطابية تتعلق بالمخاطب العام؛ إذ تستميله نحو قراءة المتن والتفاعل معه، ومقاصد أخرى تتعلق بالمخاطب الخاص (الممدوح)؛ إذ تستميله بغية استنهاض همته للتحرك نحو تحرير الأندلس.

– فرض المرسل سلطته النقدية على المخاطبين، فتوجه إليهم بوصفه ناقدًا بصيرًا بالشعر؛ ليحكم على عمله بالجودة والإتقان، فيستميل نفوسهم، ويحفزهم على قراءة المتن، والتفاعل معه.

– استعان المرسل بروابط (الواو) و(الفاء) و(حتى) و(على أنَّ)، في سبيل تدعيم حججه وتقويتها.

– استدعى المرسل مجموعة من العوامل الحجاجية، تتحدد في عوامل النفي، والقصر، والشرط؛ بغرض توجيه الخطاب الوجهة الحجاجية التي يرومها.

– شكّل عامل النفي دافعًا ومحفزًا لإقناع المخاطبين من خلال توجيههم بالملفوظ الكلامي نحو النتيجة المستهدفة، وتتحدد في تقرير مضمون المتن المتعلق باستحقاق المستنصر للثناء والشكر؛ استنادًا إلى الصفات المثلى الواجب توافرها في كل راع متعهد لرعيته وبلاده بالعناية والاهتمام.

– لم يكن حضور آليات البديع في مقدمة القرطاجني، سيرًا على نهج المؤلفين في عصره، وإنما جاء داعمًا ومقويًا لمقاصد خطابه وأغراضه.

– استدعى المرسل أدوات البديع من السجع والجناس والطباق والمقابلة؛ ليجذب انتباه المخاطبين إلى عالم المتن، ويدفعهم إلى التفاعل معه، وإدراك مضامينه؛ بغية تحقيق الاقتناع والتسليم والتصديق في النفوس.

– برزت عناية القرطاجني بتشكيل خطابه التقديمي وفق بنية إيقاعية مؤثرة، فتراه يأتي بالتراكيب المتوازية؛ بغية تحقيق استجابة المخاطبين، وضمان تفاعلهم مع الخطاب.

– استحضر المرسل آليات التقسيم والتفصيل والتكرار، بغرض جذب المخاطبين نحو الولوج في عالم المتن؛ إذ يربطهم بجزئياته وتفاصيله، كاشفًا عما اشتملت عليه المقصورة من أغراض وفنون.

– أفاد توظيف البديع في مقدمة القرطاجني في انسجام أجزائها، وتلاحم أصواتها، واعتدال مقاطعها؛ تحقيقًا لإقبال المخاطبين، واستمالة لنفوسهم نحو قراءة المتن والتفاعل مع ما يطرحه من آراء وأفكار.

– تحققت فاعلية التشبيه الحجاجية فيما يمتلكه من طاقات إقناعية تأثيرية؛ تدفع المخاطبين نحو الوصول إلى المعنى المقصود.

– استدعى القرطاجني آلية الاستعارة في مقدمة مقصورته؛ بغية تحقيق غرضين رئيسين؛ يتمثل الغرض الأول في إثبات مضامين المتن وأفكاره المتصلة بمدح المستنصر. ويتحدد الغرض الثاني في إثبات قيمة المقصورة الجمالية والدلالية.

التوصيات:

أوصي الباحثين بالتوسع في دراسة الآليات الحجاجية في خطاب المقدمات التراثية؛ إذ تكشف عن وعي علمائنا العرب القدامى بأهمية المقدمة ووظائفها الخطابية، بوصفها مداخل أساسية لقراءة المتون، وفهمها واستيعاب خصوصياتها.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الحسن حازم القرطاجني وفن المقصورة في الأدب العربي، مهدي علّام(د)، حوليات كلية الآداب، المجلد الأول، مايو ١٩٥١م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة.
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ابن سعيد الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط القاهرة ١٩٥٩م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري (شهاب الدين بن محمد المقري ت ١٠٤١هـ).
- أساس البلاغة، الزمخشري، (أبو القاسم جار الله، محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١ دار الكتب العلمية.
- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية، ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف(د)، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.
- إستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١ المدني ١٩٩١م.
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مثنى كاظم صادق(د)، ط ١ دار كلمة للنشر– تونس ٢٠١٥م.
- الأصمعيات، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ت ٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط ٥ بيروت/ لبنان.
- الأعلام، (خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ت ١٣٩٦هـ)، ط (٧) دار العلم للملايين ١٩٧٩م.
- الأمالي، أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون ت ٣٥٦هـ)، ط٢ دار الكتب المصرية.

- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد الحميد هنداوي(د)، ط٢ مؤسسة المختار، القاهرة.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي(د)، ط مكتبة الآداب، القاهرة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية– لبنان / صيدا.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل(د)، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون بالكويت، أغسطس ١٩٨٢م.
- البيان والتبيين، الجاحظ (عمرو بن بحر، أبو عثمان ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر) ١٩٤٨م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف(د)، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- الترجمة والحجاج، مقال منشور ضمن كتاب (الحجاج بين النظرية والتطبيق)– أبو بكر العزاوي(د)، ط ١ عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن) ٢٠٢٠م.
- حازم القرطاجني حياته وشعره، كيلاني حسن سند (د)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) لبريلمان وتيتكاه، عبد الله صولة(د)، ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب بتونس.
- الحجاج عند البلاغيين العرب، علي سلمان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة باحثين، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط ١/ ٢٠١٠م.

- الحجاج في الشعر العربي القديم من القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، سامية الدريدي(د)، ط١ عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٨م.
- الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، الراضي رشيد(د)، مجلة عالم الفكر، عدد١، مجلد ٣٤، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٥م.
- خطاب المقدمة في التأليف العربي (دراسة تحليلية في مصنفات مختارة)، مصطفى أحمد قنبر(د)، ط المركز الديمقراطي العربي برلين/ ألمانيا ٢٠٢١م.
- الخطابة، أرسطو، حققه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي(د)، دار القلم – بيروت ١٩٧٩م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١ المدني ١٩٩١م.
- دولة الإسلام في الأندلس، (محمد عبد الله عنان ت ١٤٠٦هـ)، ط ٢ مكتبة الخانجي ١٩٩٠م.
- ديوان حازم القرطاجني، تحقيق: عثمان الكعّاك، دار الثقافة– بيروت ١٩٦٤م.
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، أبو القاسم محمد الشريف السَّبتي (ت ٧٦٠هـ)، تحقيق وشرح: الأستاذ محمد الحجوي، ط المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٧م.
- الروابط الحجاجية في سورة القلم، دراسة في التداولية المدمجة، رحيم مجيد راضي(د)، مجلة أوراق بحثية، عدد ١٩، ٢٠٢٢م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق/ بيروت.
- شرح مقصورة ابن دريد، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط مكتبة المعارف/ بيروت، ١٩٩٤م.
- شعرية النص الموازي، جميل حمداوي(د)، ط١ ٢٠١٤م، المكتبة الشاملة الذهبية.
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢م.

- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، ط بيروت ١٩٥٩م.
- عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد، تقديم: د/ سعيد يقطين، ط ١ منشورات الاختلاف– الدار العربية للعلوم ٢٠٠٨م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط (٤) دار الجيل، ١٩٧٢م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، صفاقس/ تونس، ط١، ٢٠١١م.
- الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري، بترتيب وزيادة، جامع الكتب الإسلامية.
- في بلاغة الحجاج، محمد مشبال (د)، ط دار كنوز المعرفة، الأردن ٢٠١٦.
- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة (د)، ط ١ الشركة التونسية للنشر ٢٠١١.
- قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، الحبيب بن الخوجة، ط الدار التونسية للنشر ١٩٧٢م.
- الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، عالم المعرفة/ بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ)، عُني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقيا المدرس بجامعة إسطنبول، نشر مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.
- لسان العرب، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، ط دار المعارف.
- اللسان والميزان، طه عبد الرحمن (د)، ط١ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٨٨م.

- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي (د)، ط(١) العمدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩م.
- مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني ت ٥١٨ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر ١٩٧٢م.
- مدخل إلى الخطابة، أوليفي روبول، ترجمة رضوان العصبة، مراجعة حسان الباهي، ط ٢٠١٧ أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، عبد الرزاق بلال، تقديم: إدريس نقوري(د)، ط إفريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٠م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتن، ط ١منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ٢٠٠٨م.
- المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي، ط١ مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ)، ط٢ دار صادر/ بيروت، ١٩٩٥م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية/ بيروت ١٩٩١م.
- مقاييس اللغة، ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩م.
- مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: مهدي علام (د)، حوليات كلية الآداب، المجلد (٢)، مايو ١٩٥٣م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة.
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أبو عبد الله الشيخ بن محمد بن أبي القاسم القيرواني المعروف بابن أبي دينار (ت بعد سنة ١١١٠هـ)، ط١ مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٦هـ.

- النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد (د)، مقال منشور بمجلة فصول، العدد ٦٠– القاهرة ٢٠٠٢م.
- وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د/ إحسان عباس، بيروت ط دار صادر/ بيروت.

المراجع الأجنبية:

- Anscombre et ducrot; l'argumentation dans la langue; Pierre Mardaga. éditeur; 2ed
- Gérard Genette.Seuils.ed.du. Pairs ,1987.
- Perelman, Ch, & L. Olbrechts - T yteca ; The New rhetoric ;" A Treatise on Argumentation" Trans by John Wilkinson & Purcell weaver, Noter Dame & London ; University of Noter Dame press, 1971 .